الطبعة الثانية

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة
إصدارات خاصة

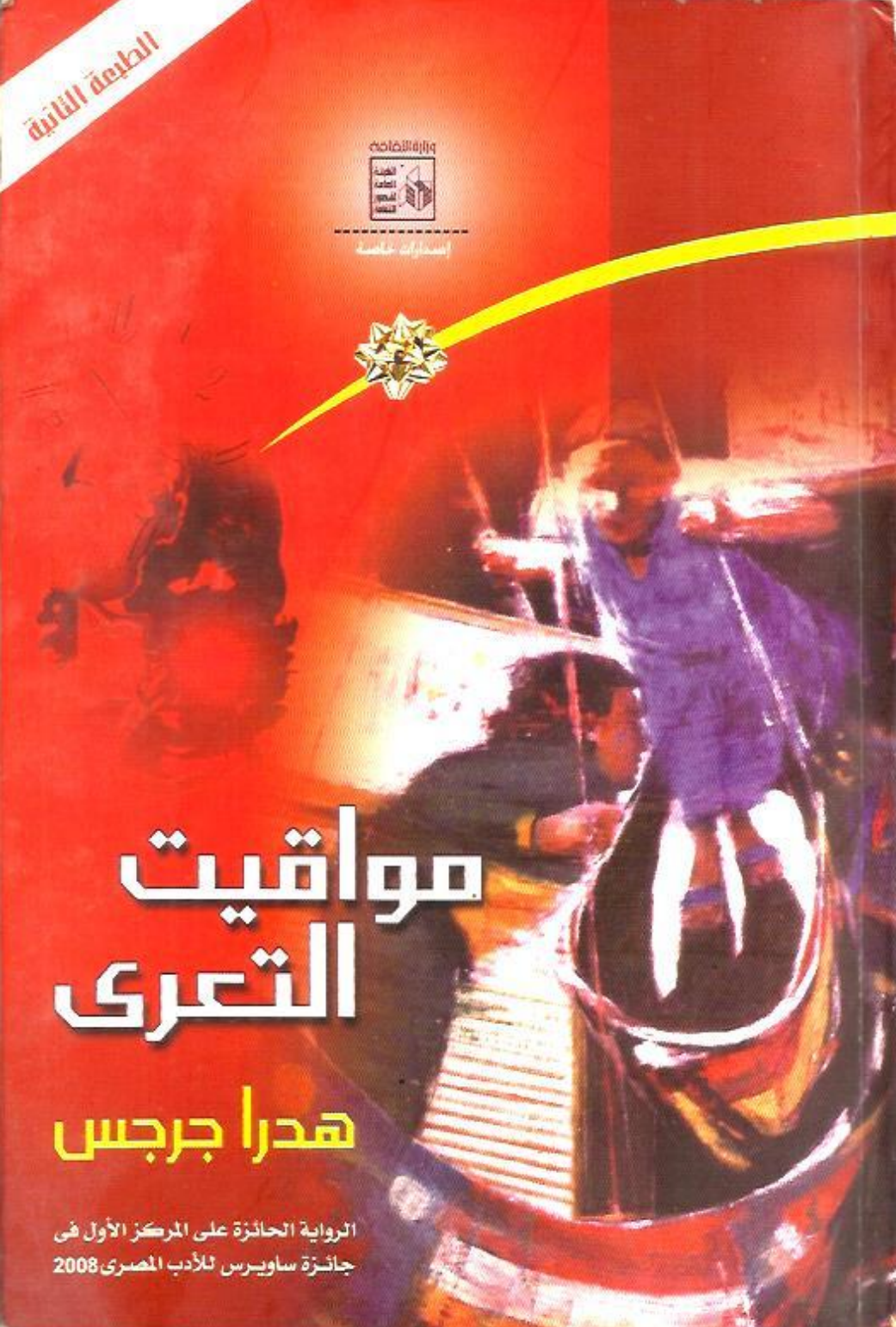

مواقيت التعرى

هدرا جرجس

الرواية الحائزة على المركز الأول فى
جائزة ساويرس للأدب المصرى 2008

رواية

مواقيت التعرى

هدرا جرجس

الرواية الحائزة على المركز الأول
فى جائزة ساويرس للأدب المصرى 2008

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة

سلسلة
الإصدارات الخاصة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

أمين عام النشر
سعد عبد الرحمن

الإشراف العام
جمال العسكرى

الإشراف الفنى
د. خالد سرور

• مواقيت التعرى
• هدرا جرجس
• الطبعة الثانية،
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2009 م
144ص. 5ر13 x 5ر19 سم
• تصميم الغلاف،
أحمد الجنايني
لوحة الغلاف،
الفنان/ سمير فؤاد
• مراجعة لغوية، ياسمين مجدى
• رقم الإيداع، ٥٠٨٤ / ٢٠٠٩
• الترقيم الدولى، 978-977-479-093-5
• المراسلات :
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى : 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت : 27947891 (داخلى : 180)

• الطباعة والتنفيذ :
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : 23904096

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة لقصور الثقافة.
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابى من الهيئة العامة لقصور الثقافة. أو بالإشارة إلى المصدر.

65

تعنى بنشر الأعمال الفكرية والثقافية والأعمال الخاصة لأبرز الكتاب فى مصر والعالم

• هيئة التحرير •

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
د. أحمد مجاهد

مدير التحرير
عماد مطاوع

مواقيت التعرى

«فى يسر خلعنا كل ما نرتدى من تنكر يرهقنا..»

جون ميلتون

الإهداء

إلى .... لا أحد

هدرا

نهايــة

قالت :

ـ إسمع .. أنا تعبت .. تعبت من الكذب...

فى الصبح أنتظر الحل... فهمت .

تركته وسارت بحذاء الكورنيش تدق الأرض بكعبيها العاليين غير مكترثة بندائه :

ـ سناء... سناء .. اسمعى... انتظرى .. انتظرى.. انتظرى..

ولكنها لم تنتظر ولم تسمع... لم تسمع سوى دقات كعبيها على الأرض ورنين يصفر فى أذنيها، وهدأ العالم تمامًا إلا الاصطدام الذى باغت كتفها الأيسر... كان جسمًا رخوًا.

قال الجسم:

ـ مش تحاسبى ...

قالت :

ـ متأسفة

وأكملت السير وبدأ العالم فى التشكل، انتظم المرور، وارتفع صخب آلات التنبيه فى السيارات، وجلجل صوت بائعة الترمس.

ـ ترمس... الترمس المملح ...

هل كانت هذه هى النهاية... ؟؟

سناء لا تعرف .

كيف بدأت البداية وكيف انتهت النهاية ... لا تعرف،

أمسكت سناء رأسها بكلتا يديها وصرخت: كفاية..

كفاية

وفجأة صارت تكره البيت العتيق وصارت تكره أمها العجوز.

هل ستقوم بتحطيم كل شىء؟

زجاج النوافذ والأطباق الصينى وفازات الزهور البلاستيك وكل

شىء... زهور بلاستيك .. أى خداع يحاول صنعه البشر... بلاستيك... الزهور بلاستيك!!

أى خداع يا ربى؟

حمراء وخضراء وصفراء بلا رائحة نقتنى الزيف، ونقول: الله .. جميل.. أى خداع...

أمسكت الزهرية بكلتا يديها وصرخت... كدب .. كدب وقذفت بها نحو الأرض .

وتناثرت أشلاؤها، وجاء الصوت ضعيفًا «فزعًا» من الغرفة :

ـ إيه حصل يا سناء... فيه حاجه ؟

قالت وهى تتشنج وتكتم فمها بكفها وتنحنى لتجمع أشلاء الزهرية، وتنظف الزهور البلاستيك التى تتساقط عليها قطرات من الدموع:

ـ لا .. ولا حاجه... ولا حاجه... بدون قصد... ولا حاجه يا أمى

فى ذلك اليوم

فى ذلك اليوم من هذا الشهر فى تلك السنة

حدث هذا كله...

حطمت سناء زهرية الورود البلاستيك، وقررت أن تكتب رواية بعد انقطاعها عن الكتابة، وفى هذا اليوم أيضًا صار الولد الذى يتهته طفلاً كبيراً بالغًا وانتظم فى فصل الذكور، وكانت نور الفتاة التى انخرط جسمها كأنثى فى فصل الإناث: لأن أجسادهم المتشابهة نمت بالقدر الذى يكون الفاصل هو المعادل الموضوعى الأكيد للنمو، ويكون الاختباء فى الفصول الجديدة كاختباء الجسد الخاطئ العارى خلف شجرة الجنة.

وتتقلب المفاهيم ويكون التقسيم الجديد لفصول المدرسة، وفصول المدرسة كفصول السنة فى تعاقبها حقيقة تعلمها سناء - بالتحديد - جيداً .

م2- مواقيت التعرى (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

والسؤال هل يشعر الولد الذى يتهته بشاربه الذى بدأ يتشكل تحت أنفه أو بالشعيرات النافرة من ياقة قميصه الآن .. حقيقية لا أعرف .

ما أعرفه أن نور شعرت يومًا بقطراتها الحمراء، وكذلك شعرت فى يوم آخر بيد مدرس الألعاب تتحسس ثدييها الصغيرين.. وهى ضحكت ولم تفهم..

ولكن هل فهمت عندما حاول أن يرفع الجوب المدرسى عن فخذيها لأنها ركلته بقدمها وفرت هاربة ... أيضًا لا أعرف.

وإذا كان .. فلماذا شجعته وضحكت فى الأولى، وركلته وفرت فى الثانية... أهو الإحساس الفطرى للأنثى بالخطر.

حينما قدموا بنور إلى هناك كاد يغمى عليها من البكاء، نظراتها المذعورة تنغرس فى أوجه المدرسين ويداها تتشبث بجلباب والدها ترجوه أن يرجعها إلى حيث كانت مستكينة على الدكة الخشبية فى الزروع أو تشارك الأطفال فى «الحجلة»، ولكن أخذ الوضع سمة العادة.

وضعوها فى فصل أو أعطوها كتبًا ملونة بها صور لحمار وفيل وتفاحة وبصل... كلها ملونة... فرحت وجففت دموعها وضحكت.

اسمها المدرسة الفكرية، وكان الاسم يستفز «سناء» مديرتها كانت تقول مستهزئة:

- لا أعرف مادخل الفكر بنوعية هذه المدارس؟؟

ثم ترفع كتفيها وتمط شفتها السفلى وتقول كأنها تفسر:

- إلا إذا كان الفكر هنا يعتبر تخلفًا عقليًا

تحب أن يناديها الجميع «ماما سناء» .. وتقول دائمًا:

- عندى ألف وخمسمائة طفل... كفاية .

ربما بنوع من الإعلاء أو التبرير .

المهم... نعود للموضوع الأول، وهو ما حدث فى هذا اليوم وجعل سناء تفكر فى الكتابة مرة أخرى.

إنه يوم عادى جدًا، وبدأ بداية عادية جدًا ككل أيام المدرسة... لا لم يكن مثل كل أيام المدرسة بالضبط، كان أول يوم فى السنة الدراسية. وضعت سناء - ككل يوم - المنضدة بجوار الفراش ووضعت عليها دورق المياه و طبق الموز وزجاجتى عصير المانجو وجهاز «الريموت كنترول»، وأدخلت التليفزيون بجوار فراش والدتها وقربت «السنادة» وقالت لنفسها (ممكن تعوز دورة المياه) وخرجت إلى المدرسة.

إنه أول يوم فى السنة الدراسية، بالنسبة لها تكرر هذا اليوم سنوات كثيرة لذلك لم تكن تشغف به كثيراً كما كان شعورها قبل هذه المرحلة المتقدمة من العمر، كانت تشغف فقط برؤيتهما... نور وصديقها، لم تصادف تواصلاً أو لنقل «حبًا» بين تلميذين فى المدرسة يصل لهذه الدرجة... نور وهادى الذى يتهته.

مايحيرها هو تشابه كل التلاميذ فى سلوكهم وفى هيئتهم، وهذا التشابه كان يصنع بينهم قدراً ما من التنافر إلا نور وهادى.

وفى المدرسة .. تممت على توزيع التلاميذ على فصولهم وتوزيع الكتب عليهم.

.. وتمت على أعداد التلاميذ الجدد، ولمحت فرحة الاشتياق بين نور وهادى، ولاحظت بعض الدموع التى لمعت فى عينى هادى عندما كان يتجه لفصله الجديد وهو ينظر لنور المتجهة لفصلها الآخر، قالت سناء لنفسها: لم يرها فترة الإجازة كلها فما الفرق أن يفترقا بعض الساعات.. عموما سيلتقيان فى «الفسحة» .

غير أنه قبل الفسحة كان هادى بين كل حصة دراسية وأخرى يسرع إلى فصل نور يناديها ويتحدث معها قليلاً ثم يسرع إلى فصله قبل أن يأتى المدرس.

كانا يتحدثان كثيراً وربما يتفقان على مشاريع كثيرة لا تعرفها سناء... مشاريع ربما ضخمة أو بسيطة ولكنها تخصهما وحدهما، النملة مثلاً تستطيع أن تحمل مايعادل وزنها مائة مرة، والإنسان إذا حمل بالكاد ما يعادل وزنه نصفه بالبطل.

فى عامهما الأول لفتا انتباه سناء كثيراً، وفى الثانى شعرت بالحقد تجاههما، وفى الثالث أحبتهما، وفى الرابع كرهتهما جداً، وفى الخامس قررت أن تكتب حبهما فى قصة غير أنها لم تبدأ بعد.

وفى الفسحة... تابعتهما.

ذهبا إلى النخلة وافترشا ورقة الصحف الكبيرة تحتهما، وفعل هادى ما يفعل دائماً بأن جعل الكيس البلاستيك فى انبعاجته يشبه الطبق وأفرغا فيه محتويات طعامهما.

فى عامهما الأول كانت تحب متابعتهما وهما يأكلان، وفى الثانى تمنت أن تخطف الكيس منهما وتلقيه فى صندوق القمامة، وفى

الثالث تمنت أن تجلس معهما وتأكل، وفى الرابع كانت تشعر بالغثيان من رؤيتهما يأكلان... والآن ما الذى يحدث .. هل نسيت أنها المديرة.. نعم المديرة ... ما الذى يشغلها فى تلميذين مثل هادى ونور ... ما هذا الذى تفعلينه.. هل انتهت مشاكل المدرسة كلها ولم يتبق سوى نور وهادى حتى تتبعهما .. . ما هذا الجنون..!!

رغم هذه الأفكار التى داهمتها إلا أنها اقتربت منهما وهى تتحاشى أن تلتقى العيون، وصاحت منادية منصور الفراش أو ادعت إهماله ووبخته لأنه لم يتخلص من القمامة أو لم يسق الزرع أو أى شىء.. أى شىء .. المهم أن تظل بالقرب منهما.

أن تسترق السمع إليهما.

ماذا يقولان....؟؟؟؟

لقد نجحت .. اختصرت طاقة الحواس كلها فى الأذن .. ونجحت.

كان هادى يقول:

- وحشتينى

وكانت نور تقول:

- وحشتنى

قال هادى :

- حاسبى.. لا تنسى

وقالت نور :

- لا ... فاكره

قال هادى :

ـ ناكل .. وبعدين زى ما انت فاهمه

قالت نور :

ـ حاسب حد يشوفك

وقالت نور أيضاً :

ـ ياه من زمان ماعملناها

وقالت أيضاً:

ـ بسرعة.. ناكل بسرعة.. ياللا ياهادى بسرعة

قال هادى:

ـ يا ترى مكاننا زى ما هو

قالت نور:

ـ مكان بعيد... ولا حد يعرفه

لم تفلح سناء فى تطويل حديثها مع منصور الفراش... لم تجد شيئًا آخر يمكن أن تلومه عليه أو توبخه بسببه... فاستأذن الرجل واعداً بتحقيق كل مطالبها... وتركها ولكنها بعدما سمعت من نور وهادى لم تترك مكانها وتصنعت تفحصها للزرع والأشجار، ولم يرها هادى، ولم ترها نور، ولم يشعرا بوجودها بالقرب منهما.

قال هادى:

ـ آه ... خلاص

قالت نور:

ـ خلاص .. آكلت

وتناولت نور «زمزميتها» وشربت وأعطت لهادى فشرب

قال هادى:

ـ حضرتى الملايه

تراجعت سناء خطوة كالملسوعة، وجحظت عيناها وقالت بتمتمة:

ـ «ملايه .. ملايه .. بتقول ملايه»

قالت نور:

ـ الملايه جاهزه.. فى جيب البنطلون.. أهى ورفعت سترتها وأشارت لبنطلونها

قال هادى وهو يبتسم:

ـ تمام

ووقفا، وقال هادى:

ـ خلاص .. أسبقك... أنا هناك .. خلاص..؟

قالت نور:

ـ خلاص

قالت سناء لنفسها «ملايه»

انسل هادى متجها لمنطقة تعتبر مهجورة بالنسبة للمدرسة بها تخزن المقاعد التالفة وبعض الأخشاب المحطمة... ولكنها على أية حال كانت ـ فى القصر قديمًا ـ مكانًا لإقامة الخدم، تقع بالضبط خلف القصر من الناحية الشرقية، ولم يكن أحد يذهب هناك مطلقًا لاعتقاد الأطفال بوجود «عفاريت»، فتغطى المكان بالأتربة الناعمة وبقايا المسامير الصدئة.

اتجهت نور إلى هناك وبمثل طريقة هادى تمامًا كانت تتحرك بالتدريج فتمشى حينًا وتستند على الحائط حينًا ثم تلتقط شيئا من الأرض وتتلفت ثم تتجه نحو المكان... وعندما تشعر أن أحدًا ينظر لها تتوقف.

وهكذا فعلت سناء..

تابعتهما بعينيها، وعندما اقتحمت نور اللامرئى بالنسبة لموقع سناء.. تحركت سناء خلفها.

وكان شريط من المشاهد يدور فى مخيلة سناء.. ماذا سيفعلان؟!

هل سيقبلها .. والملاءة ماذا سيفعلان بها ...

كان هادى ينتظرها هناك... اختبأت سناء فى ركن قريب ولم يشعرا بوجودها.

قال هادى:

ـ تصدقى يانور ... كل حاجه زى ما كانت

قالت نور:

ـ ولا حد لعب فى حاجه.. ؟ معقول

قال هادى:

ـ ولا حد بيدخل هنا خالص.. . بيقولوا فيها عفاريت ..فين هى العفاريت؟

ضحكت نور وقالت:

ـ العفريت هو البنى آدم

قال هادى:

ـ عارفه يانور ... لو انت مش معايا .. أنا كنت أخاف رغم إنى عارف مفيش عفاريت بس كنت أخاف

قالت نور:

ـ ياللا مش عاوزين نضيع وقت

قالت هذا وأخرجت قطعة القماش المطوية فى جيب سروالها.

قال هادى:

ـ كل حاجه زى ما كانت ... أهو الحبل بتاعنا

أمالت نور نصف جسمها الأعلى ونظرت وهى تصفق بيديها فى فرح ظاهر، وضحكت وقالت:

ـ زى ما هوه فعلاً..

كان هناك حبل معقود من طرفيه فى فرعى شجرة قديمة ضخمة وغير مثمرة.

قالت نور:

ـ يا ترى متين زى الأول..؟

قال هادى:

ـ جدا .. اهو..

واتكأ بقوة جسمه كله على الحبل المعلق كأرجوحة، ثم تناول قطعة القماش من نور ووضعها على الحبل وقال :

ـ تعالى يانور

اندفعت نور بفرح وجلست على قطعة القماش المفروشة على الحبل وقالت:

- عاوزه أجيب ملايه كبيره علشان تبقى طريه

وأمسك هادى بطرفى الحبل وظل يؤرجحه ونور تضحك .

قالت نور:

- عارف ياهادى أنا بحب ماما سناء... نفسى أبقى زيها

قال هادى:

- وآنا كمان .. . طيبة وبتحبنا كمان

كانت سناء ترى وتسمع كل شىء بحواس مقتولة عاجزة عن الاستيعاب، وعندما حاصرت رائحة التراب الناعم أنفها شعرت أنها فى حلم وسألت «ما الذى قادها إلى هنا؟».. ولكنها هل نطحت الحائط برأسها ..؟ كانت تريد.. لكنها لم تفعل..

فقط انسلت بهدوء عائدة.. وعندما اقتربت من مكتبها شعرت باليد التى تسندها وبصوت يخترق أذنيها.

- مالك يا ماما سناء..؟

ضحكت سناء بسخرية وقالت:

- ماما سناء..

قال الصوت:

- لونك مخطوف .. انت تعبانه؟

قالت سناء:

- سلام.. آنا مروحة

ولم تعرف كيف وصلت إلى المنزل، وكانت أمها لاتزال نائمة، فتحت باب غرفتها ونظرت لها .. الهرم حاصرها تماماً ولكنها تنام

كطفلة...

* * *

المهم... أنها فعلت ما فعلت

حطمت الزهرية التى تحمل باقة الورود البلاستيك

وبكت... ثم هدأت وأغلقت غرفتها عليها ونامت .

فى المساء قررت أن تكتب.. لم تكتب منذ سنوات ولكنها شعرت برغبتها في أن تحكى..

فكرت...

ربما اتجهت يومًا للأدب لأنها لم تجد من تحكى له.....

قالت لنفسها «الوحدة أيضًا تصنع الأدباء»

قالت:

ـ على أى حال ... سأكتب

وكتبت فى هذه الليلة بالفعل الفصل التالى

.....

.....

.....

فصل من رواية سناء

سأكتب عن فتاة ... كرهتها إلى حد تجسيدها على الورق حاولت قتلها ولم تأتني الشجاعة... فقلت أقتلها على الورق... سأكتب عنها بلغة عارية من الصمت الأبدى الذى يتحدثه الآخرون... ولا أعرف كيف أعرى اللغة بعد هذه البلبلة الخرساء، بعد أن سقط برج بابل فوق رؤوسنا وصار كل منا يتحدث لغة الخباء التى يجيدها.

لأن الكتابة عنها كاقتحام الصحراء.. واسعة هى وخاوية، وبحجم خوانها يكون غموضها، صحراء مطلعة على حماقات الآخرين كإلهة من زمن الأساطير، واقتحام الصحراء يحتاج إلى نبى.. . إلى مسيح.

وهى .. أكانت مريضة وأنا الطبيب الممسك بالمشرط الذى ينز حبراً على الورق، أم كانت الخاطئة التى سوف أغسل يدى بالحبر لإبرائها... أم كانت مصلوبة كالمسيح تحمل خطايا البشر وتستر أجسادهم....

تعرت .. وصلبت، ورقصنا نحن كالمجانين وأكلة لحوم البشر حول صليبها.

رغم ذلك يجب أن أعترف ... لفتاتى مشكلة

ومشكلتها .. لم يكن أحد يحصى أعياد ميلادها ويحسب عمرها بالأيام، فقط كانوا - هم - يعيشون بترتيب الأيام والشهور والسنين - هم - يتسلقون عقارب الساعة فتلف بهم ومعهم، وهى ساكنة.. وسكونها أليم حقًا.

لم تشعر رغم رنين الساعة الذى سمعته كثيراً حتى أصابها بالصمم فما عادت تسمع شيئًا أبدًا.

ربما أردت أن أنفس عن قهرها، الذى هو قهرى أنا... هى أنا... هى نحن... صورة طبق الأصل.

مثلها عاجزون.. منتظرون بدجانة الطيور الجاهزة للذبح..

هل قلت إننى كنت أنتوى قتلها..؟؟

نعم تمنيت ولم تأتني الشجاعة ..

وهل قلت إنها ماتت مرتين قبل أن أحاول قتلها على الورق مرتين .. أى كذب.

مرات... مرات كثيرة... كثيرة

.....

.....

.....

موتها الأول

موتها الأول .. كان فى إحدى ليالى أمشير القارصة والرياح تصطدم بالسحب فتغسل المدينة من قذارتها، وتبكى السماء وترسل تطهيرها للمدينة الخاطئة.. فى تلك الليلة تحررت فتاتى من ملابسها ولمعت دمعتان توازيتا هبوطًا من عينيها كأن شيئًا ما يثيرها... ربما صوت الرعد أو شرارة البرق، كانت تشعر أن هناك اتصالاً ما بينها وبين الرياح الثائرة - مثلها - تشعر أن اتصالاً جسديًا ما سوف تقتحم الرياح به جسدها، وأن فتاها هناك يسكن منبع هذه الرياح ويرسلها تحديداً... لحبيبته (فتاتى) وما عليها إلا أن تقف عارية أمام موجات الرياح الباردة - أحستها ساخنة تكوى جسدها - وتنتظر فتاها الذى يرسل مع الرياح خلاصة رجولته مفتتة...

صدقت كل شيء... هى مع حبيبها الآن... والسخونة .. والبرودة.. ارتعاشه التوتر.. ارتعاشه الفرحة... وعنف اللقاء.

مازالت السماء تبكى وعينا الفتاة دامعتان وحبات العرق على الجبهة، قالت له: «أحبك».. وعند الاختراق سقطت بركبتيها على الأرض، وسقطت قطرتان حمراوان على البلاط، أحست بألم وزفرت بمتعة وشهقت بعنف، أحست أن روحها مفعمة بالسلام، لو يشاركها الكون كله متعتها وسلامها.

سقط المطر اللزج كلعاب حبيبها على وجهها ... لحسته بلسانها... استقبلت قبلة النهاية الفرحة بارتعاشة راضية.

رأت حبات الرجولة فى الرياح تنسحب وتنسحب سريعًا إلى حيث الفضاء اللامرئى.

تعود لفتاها، وحدث صوت ارتطام لكتلة حديدية ما سقطت من أعلى إحدى البنايات، وبدأت الرياح فى الانسحاب تدريجيًا إلى أن سكن الهواء تمامًا...

* * *

يومها ....

قال لها حبيبها .. نحن زوجان

الشاهدان هما الرياح والمطر

وها هى الورقة وقعى يا حبيبتى

وقال لها أحبك وتنهد وقبلها فى فمها

قال أحبك .. لا لم يقل أحبك قال أعشقك... لا بل قال «آموت فيكى»

قالت له:

ـ اسمع .. أنا تعبت... تعبت من الكذب.. فى الصبح أنتظر الحل.. فهمت ... تركته وسارت بحذاء الكورنيش تدق الأرض بكعبيها العاليين غير مكترثة بندائه..

ـ انتظرى .. انتظرى.. انتظرى...

لكنها لم تنتظر ولم تسمع... لم تسمع سوى دقات كعبيها على الأرض ورنين يصفر فى أذنيها، وهدأ العالم تمامًا إلا الاصطدام الذى باغت كتفها الأيسر... كان جسمًا رخوًا.

قال الجسم:

ـ مش تحاسبى

قالت:

ـ متأسفه

وأكملت السير وبدأ العالم فى التشكل، انتظم المرور وارتفع صخب آلات التنبيه فى السيارات، وجلجل صوت بائعة الترمس:

ـ ترمس... الترمس المملح

هل كانت هذه هى النهاية... ؟؟

النهاية كانت فى الصباح... فى الصباح لم يجد الحل... فى الصباح ترك لها الرسالة مع صديقتها فى الجامعة.

- انتظرينى .. سأعود، سأصنع البيت الصغير..

ولم يأت .

أصبحت مديرة.. نعم مديرة.. أى تهريج ..

زهرة بلاستيك .

موتها الثانى

ولأنها فى إحدى ليالى أمشير أصبحت وحيدة فى مهب الرياح...

فإنها فى إحدى ليالى أمشير ـ أيضًا ـ تعرت

تعرت أولاً ثم خرجت

كانت الكلاب تنبح بشدة

تعرت قبل أن تخرج أم تعرت فقط هناك

شىء ما فى الرياح يثيرها

خرجت تطعم الكلاب الجائعة

لا يهم ... المهم أنها ـ فقط ـ تعرت

أشعل لها سيجارة... لم تكن تدخن ولكنها فعلت.

دائمًا ما يسعدها منظر امرأة تدخن... أو امرأة تقود سيارة، لم تكن تفعل هذا... فقط كان يسعدها أن تراه، كأن المساواة التى

كانت تكتب عنها فى قصصها تتجسد فى امرأة تدخن.

المهم أنها سارت معه، بل تأبطت ذراعه، عندما كان يفعل حبيبها معها ذلك تقول «خايفه حد يشوفنا».

ولكن ما الذى حدث.. هى مع هذا الشاب الذى تراه لأول مرة لم تفعل.

تعرت

لم تخف آن يراها أحد، ولكن ما الذى حدث..

هى مع هذا الشاب الذى تراه لأول مرة لم تفعل.

فقط تعرت..

لم تخف أن يراها أحد

لو رآها العالم كله.. هل يهم؟

إنها تريده، وهو يريدها، كان يطل من عينيه الشهوة عندما كان يتتبعها وهى تسير بلا هدف فى ليلة أمشير المثيرة... الرياح تثيرها والكلاب تنادى..

كان يخترق بنظراته ملابسها... كانت تعقد مقارنة بينه وبين فتاها، قالت إن هذا الشاب الذى يأكلها بعينيه الآن هو الأفضل، لن يخدعها ولن يتركها قالت : إنه يريدنى.. يريد الفعل، هو أيضًا عار الآن مثلى. ألم يقل فرويد إن مرجعية السلوك البشرى كلها للجنس.

فلماذا نتخفى؟

لماذا لا نتعرى؟

لماذا لا أذهب إليه وأقول له «هيا افعل».

قرأت فى مجلة أجنبية استفتاء بين النساء عن صورة العالم بدون رجل، ٨٠٪ قلن: «ستكون النساء قذرات ولن تهتم بملابسهن وستفلس شركات مستحضرات التجميل» .

هاهو يتتبعها بعينيه... هيا ماذا ينتظر.. ؟

لا .. لا ... لا أحب هذه الطريقة «قالت الفتاة لنفسها»

ها هو يرتدى قناعه مرة أخرى... يتخفى .. الرغبة واضحة.. لماذا يقتلها .. لماذا يدعى أن أعواد ثقابه نفدت.

يا غبى.. قولها صريحة.

سهلة .. أنظر .. قل «أنا كلب جائع» جملة بسيطة فقط قل.. وسأمنحك الطعام... لماذا تقحم أعواد الثقاب التى لم تنفد فى الموضوع... لماذا تكذب..

أشعل كل منهما سيجارة..

لم تنظر له ... كانت تحدق فى الظلام الذى يغشى سطح النيل.

قالت لنفسها : «لا أرى المياه .. هل فعلاً هناك مياه؟»

قال الرجل:

ـ لماذا تتظاهرين؟

قالت بتعجب:

ـ أنا.. أنا أصدق مايكون فى هذه اللحظة.

يبدو أنه لم يفهم كلامها، وشعر أنها لم تفهم كلامه أيضاً فقال:

ـ أقصد لماذا تتظاهرين بالتدخين... الدخان لم يلمس رئتيك.. أنت تسحبين الدخان وتنفثينه فقط.

قالت:

ـ أنا لا أدخن

ثم مصت شفتيها ورفعت كتفيها وقالت بلا شرح

ـ فقط اشتريت علبة سجائر... لا أدخن.

وتذكرت حبيبها الذى تركها وسافر ليصنع البيت الصغير

قالت بعنف:

ـ كذاب

قال الرجل الجالس بجوارها على المقعد الرخامى أمام النيل بدهشة :

ـ أنا؟!

قالت:

ـ لا ..لا..لم أقصدك .. اسمع... تسألنى لماذا أتظاهر ولكن لن أسألك لماذا ادعيت أن أعواد ثقابك نفدت... لن أسألك.. فقط دعنا نكون صرحاء... أين منزلك....؟

أشعل لها سيجارة أخرى ـ بأعواد ثقابه التى لم تنفد ـ وسارت معه، بل تأبطت ذراعه، ولم تبال إذا كان أحد يراها .. لم تبال.

كان منزله قذراً... ولكنها تعرت.

منحها السعادة... لا لأنه كان بالفعل ممتعاً بل لأنه منحها لحظة التعرى الصادقة.

ولكنها بعد أن ارتدت ملابسها كان هو أيضًا قد ارتدى قناعه.. قال:

- تجنبى أن يراك أحد عند خروجك .

قالت لنفسها: لماذا يفسد الموضوع كله... لماذا؟

وقبل أن تخرج دس فى حقيبتها بعض النقود، وهو يحاول أن يجعلها تراه.

ماهذا؟

من يظنها هذا الكلب؟

إنها أديبة

إنها مدرسة محترمة فى مدرسة عريقة

من يظنها هذا الكلب؟

أخرجت نقوده ومزقتها وألقتها فى وجهه، وضربته بحقيبتها فى وجهه وبصقت عليه... وخرجت غير مكترثة بندائه.

- انتظرى .. انتظرى ..انتظرى

كلهم يقولون لها انتظرى.. ماذا أنتظر يا أولاد الكلب ..

لماذا لا تنتظرون أنتم؟!

موتها الثالث

إنها أصبحت مديرة... تجلس على مكتب كبير وتوبخ الفراش وتوجه المعلمين وتحمل أختامًا وأوراقًا وملفات كثيرة.. كثيرة .

قال لها فراش المدرسة إن رجلاً بدينًا يرتدى جلبابًا يريد مقابلتها.

وقال لها الرجل البدين الذى يرتدى الجلباب:

- أريد ورقة صغيرة عليها خاتم المدرسة... مجرد ورقة صغيرة مكتوب فيها أن ابنى كان يدرس فى هذه المدرسة.. أرجوك .

ماذا يقول هذا الرجل الأبله.. يتمنى إثبات أن ابنه يدرس فى مدرسة هُبْل .

قال أيضًا:

- سيأخذ الإعفاء من التجنيد... هو الذى يدير تجارتى، وأنا كما

ترين عجوز... وكما تعلمين الهبل لا يحملون السلاح.

يومها دس فى درج المكتب نقوداً كثيرة.

هل وقعت على الورقة..؟

هل أخذت النقود... ؟

ساعتها اقتحمت المشاهد أفكارها كشريط سينمائى..

مشهد .. هى عارية وتوقع على ورقة حبيبها.

مشهد ..لذلك الرجل الكلب الذى دس نقود فى حقيبتها

ماذا فعلت..

وقعت على الورقة... وأخذت النقود... هكذا ببساطة

ولكن لماذا..

ما الفرق بين النقود التى دسها ذلك الكلب فى حقيبتها .. ونقود الرجل البدين ذو الجلباب؟

ما الفرق بين التوقيع على ورقة حبيبها والتوقيع على ورقة هذا المعتوه؟؟

لماذا قبلت واحدة ولم تقبل الثانية؟

ألا تجيبى .. ما الفرق؟

موتها الرابع

مات والدها وهى فى المدرسة الثانوية

والآن لا تذكر حدثًا مهمًا بينها وبينه...

لم يأخذها فى حضنه، ولم تحك له عن أمورها كما تفعل الفتيات... كان ميتًا بالفعل قبل أن يموت .

لا لم يكن ميتًا.. فمن الذى كان يصرخ بعنف «انت يا بت» وفى مرات كثيرة تكون نائمة وتسمعه يصرخ «انت يا بت»، فتهب مذعورة وتجرى ناحية غرفته فتجده نائمًا لم يشعر حتى باقتحامها لاهثة غرفته فتعود لتنام مرة أخرى... مرات كثيرة حدث هذا حتى بعد موته كانت تسمعه يصرخ «انت يا بت» فتهب مذعورة نحو غرفته .

و لاتنسى اليوم الذى انهال على والدتها فيه ضربًا وركلاً بحجة أنها لم تنجح فى تربيتها لأنها تأخرت فى الدرس حتى المساء.

موتها الخامس

كل ذلك ليس مشكلة... وكل مواتها السابق لا يهم..

المشكلة الحقيقية ... والموت الكبير أنها لم تجد أحداً تحكى له...

ولن تجسر على الحكى، أصبحت جسداً عجوزاً وروحاً ميتة .

ظلت هكذا ..... هكذا .

السرايا .... المدرسة

لم يكن تصميم المدرسة يتناسب مع كونها مدرسة، كانت - فى زمن مضى - قصراً، ولا يشك الذى يمر أمامها أنها قصر، لولا اللافتة السوداء المعلقة على بابها الحديدى الجديد.

أهالى المدينة والقرية معًا لا يطلقون عليها مدرسة، بل القصر، أو السرايا، والعجائز منهم يحددون (قصر الرفاعى بك) أو (سرايا الرفاعى بك)، والجيل الجديد منهم يطلقون عليها سرايا الهُبْل أو باستهزاء السرايا الصفرا، ولم تكن صفراء بل رمادية تميل إلى البنى الكالح، أو لعل هذا ما أبقى عليه الزمن ولم يمسه التجديد الذى طالها لتكون مدرسة.

الطلاء الجديد كان للفصول وحجرات المدرسين ومكاتب الإداريين من الداخل، ولم يمس طلاءها القديم الخارجى أبداً..

وتحولت الحديقة إلى ملعب شاسع تتناثر بعض الأشجار الضخمة والنخيل السامق على حوافه، وهو كل ما تبقى من الحديقة القديمة للقصر.

يلفت نظر الداخل عبر الأبواب الجديدة غير اللائقة للحوائط القديمة بعض النقوش والأوجه البارزة أعلى المدخل تجمع بين الحضارة الفرعونية والأساطير الإغريقية القديمة فى قالب أوروبى.

كمثل أن تجد وجه أوروبى يرتدى ملابس فرعونية وله أجنحة يحلق بها أعلى الحائط، أو ترى أعمدة السلم على هيئة الآلهة اليونانية القديمة تحمل على رؤوسها زهرة اللوتس.. . وعندما تدخل المدرسة يبدو التجديد واضحًا، غير أن السقف العالى الذى يؤلف طابقين بمعايير البناء الآن يشعرك بعبق القصر.

ومن التجديدات التى لحقتها أنه تم بناء (مصطبة) ضخمة تعلو عن الأرض بقدر نصف قامة رجل وتتسع لتشمل نصف حجرة السفرة ـ فى القصر قديمًا ـ وبعد تركيب الستارة الحمراء أصبحت مسرحًا، أما الحجرات الأخرى فقد تحولت لفصول جرى تقسيمها حسب السنة الدراسية أو بحسب فصول الأولاد وفصول البنات.

وعندما صدر قرارًا بتحويلها لمدرسة فكرية.. اعترض أبناء أو أحفاد الرفاعى بك رغم أنهم تركوا القرية منذ زمن بعيد وعاشوا فى العاصمة وبعضهم خارج البلاد، ولكنهم اعترضوا حتى إن أحدهم قال:

ـ والله عال .. سرايا الرفاعى بك تتحول لمدرسة هُبْل.

وأقسم آخر أنه سيقدم استجوابًا للوزير عن هذه المدرسة و...
سيطالب فى المجلس أن تتحول إلى متحف أو مزار.
واقترح آخر - كان محاميًا - أن يلجأوا للقضاء، و اتفقوا ولكنهم خسروا..

و .. أصبح القصر مدرسة فكرية تقف منتصبة فى المنتصف تمامًا بين المدينة والقرية.. ليس ذلك فحسب، بل وحصلت على جائزة أفضل مدرسة، تعلقها سناء بجوار مكتبها بفخر واضح عندما تشير إليها لأحد الزوار، وزوار المدرسة كثيرون .. لاسيما مذيعات برامج الأطفال بالتلفزيون.

وفى هذا اليوم كان على سناء أن توزع المناديل الورقية على التلاميذ.. ليمسحوا المخاط المنزلق من أنوفهم أو لعابهم السائل على الملابس، وكانت تؤكد أن يأتوا نظيفين، وفى آحد الأيام قالت المذيعة لنور:

- عاوزه تبقى إيه ياحبيبتى لما تكبرى؟

صمتت نور ونظرت لسناء.

كررت المذيعة السؤال بابتسامة نفاد الصبر

صمتت نور ونظرت للكاميرا

قالت سناء:

- قولى يا نور... قولى يا حبيبتى..

صمتت نور ونظرت للميكروفون بيد المذيعة .

حولت سناء وجهها نحو الكاميرا وابتسمت .

وقبل أن تكرر المذيعة السؤال.. أطاحت نور بالميكروفون الموجه لفمها بعنف وأخرجت لسانها للكاميرا.. وضحك الولد الذى يتهته.. وابتسمت المذيعة بخجل بينما سناء جحظت عيناها بغضب.. وأوقف المصور تشغيل الكاميرا.. وانحنى أحد المدرسين يلتقط الميكروفون من الأرض و يعطيه للمذيعة بمودة.

حكاية الولد الذى يتهته

اسمه هادى...

مسجل فى ملفات الأخصائى النفسى بالمدرسة تحت بند الحالة.. «تخلف عقلى مع تلعثم متوسط فى النطق»، وفى حاشية أعلى الملف كتب «محول من مدرسة الشهيد...»، الابتدائية للصف الأول بالمدرسة الفكرية.

(١)

يومها ... كان يلعب «البلى» فى الشارع بينما يعلو صوت النحيب والصراخ من منزلهم، واندفعت نحوه بعض النساء متشحات بالسواد... اقتلعوه من الأرض وهو مازال ممسكًا بحبات «البلى»، ساعدهم حجم جسمه الصغير الذى كان نموه محدودًا بست سنوات لم يتجاوزها ... تلقفنه فيما بينهن طابعات على خديه الممتلئين القبلات الممتزجة بلزوجة الدموع، كل الأنظار مصوبة نحوه، وهو

يجاهد فى الإفلات ليستكمل اللعب... وتتنامى إلى أذنيه عبارات تنتهى عادة بمصمصة ما يطلقها فمهن بالتناوب....

- يا عينى.. يا ولدى.. يتيم أب وأم مرة واحدة .

- الاثنين يا ولدى... الاثنين فى يوم واحد .

مازال يجاهد للإفلات نحو الشارع فقد خسر بليتين يجب أن يستردهما، ولكن ما الذى يحدث؟ إن الضيوف عادة ما يملؤون البيت ولكن لا يرتدون كلهم أسود، ولا يكونون كلهم نساء يولولن هكذا ويطبعن القبلات على وجهه بلثم عصبى ومتوتر.

وفى المساء كان الصوان قد امتد بعرض الشارع، وافترشت النساء الأرض بعد أن أكلن وشربن وجففن دمعهن، كن يتحاكين عن سيارتين اصطدمتا و عن اثنين ماتا.

ثم ... مع الوقت أخذت الجلسة سمة التسامر حتى إن بعضهن كن يبتسمن ويضحكن ضحكًا خافتًا صغيرًا ومتوترًا لم تسمح له رهبة الصوان بالانطلاق.

آمال رأسه نحو زوجة خاله وسألها عن والديه...

- لسه مسافرين يا خاله..؟

صمتت المرأة ودمعت عيناها وكتمت شهقة واحتضنت رقبته، شعر بليونة ثدييها كوسادة، واشتم رائحة الثياب السوداء المخزنة فى الدولاب منذ زمن، رائحة نفتالين يحفظها حتى تأتى مواسم الأحزان.

شعر بالملل وفكر أن ينادى الأولاد ليستكملوا لعب الصباح، كان

عليه استرداد البليتين اللتين خسرهما.

انتصب من قرفصته بين النساء، دخل المنزل وآدار التليفزيون وقبل أن يتبين مكونات الشاشة المضيئة اندفعت زوجة خاله نحو الجهاز وأوقفته، وقالت وهى تعض شفتها السفلى.

- لا .. عيب..؟

اندهش

- ليه .. ده تلفزيونا؟

وقبل آن تجيبه جاء صوت إحدى النساء من مدخل البيت.

- يا عينى... الولد نفسه يشوف التليفزيون .. مش فاهم حاجه..!

وقبل آن ينظر نحو صاحبة الصوت قاطع نظرته صوت آخر آت من الصوان فى الخارج.

- لا حول ولا قوة إلا بالله .

لحقه صوت نحيب يصحو بعد هدوء فى الجانب الآخر من الصوان، آزره صوت آخر يولول وينتحب بشدة لم يتبين مصدره، ثم صراخ وانتحاب وولولة الصباح كلها عادت مرة واحدة.

دخل غرفته وأغلق بابها، وجلس يبكى..

(2)

وانتقل لمنزل خاله...

استعاضا (هو وزوجته) به عن عدم الإنجاب، واستعاض هادى

بهما عن القدر، وسيبدو الأمر كله طبيعيًا... ولد يتيم وسيم، طيب، ورجل وامرأة وحيدان امتلأت حياتهما به وراعيا الله فى تعاملهما معه.

لكن ما الذى حدث..

فى البداية كان يكثر من أسئلته لخاله وبعدها يزداد انطواؤه.

سأله مرة لماذا مات والداه؟ أجاب خاله كأنه يؤنبه

- حرام تقول كده .

- ليه؟

- لأن ده حكم ربنا .

- وهم عملوا حاجه وحشه؟

ينتهره عن هذه الأسئلة لأنها - على حد وصفه - أسئلة غبية، ولكن أسئلته تزداد، ولم يعرف خاله كيف يلاحقها، سأله هادى يومًا:

- لماذا نعيش فى الدنيا طالما سنموت؟

بماذا يجيبه..؟

تعود آن ينتهره ويحاول منعه عن هذه الأسئلة، ولكنه حينما يختلى بنفسه ويراجع أسئلته وملامح وجهه المتضرعة للمعرفة يكتشف أنها أسئلة صعبة، لأنه لم يستطع يومًا وضع إجابة محددة لها.

* * *

وفى يوم استيقظ هو وزوجته على صوت هادى كأنه يتشاجر مع أحد، هرولا إليه فى غرفته المجاورة، وجداه يقف على السرير

ببيجامته الكستور، كان جسده متصلباً وعيناه جاحظتين وكان يسب ويشتم ويلوح يده بحركات بذيئة فى الهواء.

لم يهتم خاله فى بداية الأمر كان يقول لزوجته:

ـ كل الأطفال كده، مسكين بكره يتعود علينا

* * *

قالت زوجة خاله وهى تنزع ملاءة السرير المبللة

ـ كل ما ينام يعملها على نفسه

ـ لسه صغير

قالت بغضب:

ـ عمره ثمانى سنوات

بدأ القلق ينهش قلب خاله عندما شعر به فى إحدى الليالى يندس بينه وبين زوجته فى الفراش وهو يرتجف، قال وهو يتشبث برقبة خاله:

ـ فيه واحد راجل تحت سريرى

وقال بكلمات متقطعة :

ـ كل ما اطلع السرير يمسك رجلى

شك خاله فعلاً.. ترك هادى فى حضن زوجته وذهب ينظر تحت السرير لعله يجد شيئًا... كان خائفًا ويرسم فى ذهنه صور لرجال بهيئات مرعبة ربما سيواجهونه من تحت السرير...

* * *

ذهب به إلى الأديرة والمساجد ولا فائدة .

وعندما بدأ الزبد يعلو فمه، ولا يستطيع التحكم فى لعابه. وزادت الحروف التى يتلعثم فى نطقها ذهب إلى طبيب أمراض نفسية .

قال الطبيب:

- قلق

- يعنى إيه يا دكتور ؟

- الولد بدون أخوات، وفقد أبوه وأمه وانتقل لبيت غريب عنه... كل ده فى لحظة واحدة... مسكين كل ده عمل عنده حالة من القلق وعدم الأمان والخوف من الآتى.

- والتهتهه يا دكتور ؟

أشعل الطبيب سيجارة وقال وهو يبتسم

- لازم... سيكوباتية .

حدق الرجل فى وجه الطبيب بغضب يحثه على التفسير .

قال الطبيب بسرعة، وكان يشعر أن الرجل ينوى الانفلات:

- بمعنى أن الخوف من القادم مع وجود الخجل والانطواء أصلاً عمل تهتهة فى لسانه.

ثم كتب له بعض المهدئات والعقاقير، وطلب منه أن يحضر هادى ليراه..!!

(3)

تم استدعاؤه للحضور، وذهب.. سلمه الناظر تقريراً أعده الأخصائى النفسى بالمدرسة جاء فيه أنه انطوائى ويتلعثم فى النطق

ومتأخر الفهم ومتخلف دراسيًا، ودائم التبول على جدران المدرسة وتحت الشجر حتى إنه تبول أمام مكتب الناظر، وبعد أن فرغ من قراءته سأل المدير فى غير فهم وتوسل إليه أن يساعده بالشرح .. فنصحه أن ينقله لمدرسة التربية الخاصة (المدرسة الفكرية)، وقال إنه سوف يعد مذكرة بهذا الأمر، وقال - أيضًا - كان الله فى عونه.

(4)

جمع الكلمات فى فمه..

«لا لن أحضنها » قال الولد الذى يتهته لنفسه

أعاد ترتيب الكلمات

«أين كنت يا نور؟»

لو أجابت «أنت تعرفنى قبل الآن..؟»

سيقول «أعرفك من زماااان..»

وسيقول لها أيضًا .. «وحشتينى يانور»

تقدم نحوها وكانت تأكل سندوتشها وحيدة تنظر للتلاميذ يتراكضون أمامها، زادت تهتهة الولد... لم يقل لها شيئًا مما رتبه لأنه فعلاً لم يرها إلا اليوم..

- تـ تـ تـ لعبى معـ عـ عايا

نظرت له وضحكت على تهتهته

شعر هو بالخجل وعلت الحمرة وجهه واستدار ذاهبًا عنها، نهضت تلحقه وربتت على كتفه وقبلته فى خده، وأعطته سندوتش.

ضحك الولد الذى يتهته بصوت عال، وضحكت نور بصوت أعلى منه.

وجلسا يأكلان .

ـ شوف .. شوف يا أستاذ إبراهيم .

قالها مدرس العلوم وهو يلكز إبراهيم مدرس اللغة العربية فى جنبه ويشير لنور وهادى، وكانت قد قبلته مرة أخرى وجلجل الضحك بينهما، فعادت تقبله مرة ثالثة ليرتفع الضحك أكثر وأكثر .

قال إبراهيم وهو يبتسم :

ـ ابن الكلب علق البت من أول يوم لهم فى المدرسة

قال مدرس العلوم والضحك يقطع كلماته :

ـ قال لها إيه أبو نص لسان ده؟

أسرعت إحدى المدرسات لرؤيتهما من النافذة التى تطل على الملعب، وقالت وهى تضحك :

ـ لو كان الرجالة كلهم هبل وبنص لسان كانت الستات تتجنن عليهم

دخلت سناء حجرة المدرسين فجأة

ـ فى إيه يا جماعة؟

قادتها المدرسة ناحية النافذة وقالت:

ـ عاوزين استدعاء ولى الأمر يا ماما سناء يمكن نوفق راسين فى الحلال ونخطبهم لبعض

ضحكت سناء مع الجميع وذهبت إلى مكتبها .. طلبت شايًا من منصور الفراش وسحبت المقعد بجوار النافذة، مازالا يقبلان

بعضهما ويضحكان، لاحظت أن الولد وسيم وطيب وأن البنت جميلة وهى تضحك.

بعد أن تخرجت سناء من الجامعة وجاء تعيينها فى هذه المدرسة انقطعت عن الطعام وبكت بشدة.

ـ هبل... أكون مدرسة هبل يا ماما؟

يومها قال لها انتظرينى.. انتظرت لكنه لم يأت، لم تجرؤ على تقبيله هكذا علانية بلا أدنى خوف... اعتادت لغة الخباء.

فى بداية عملها كانت تخاف منهم، تعتقد أن الله مسخهم هكذا بهيئة مغايرة عن البشر عقابًا، كلهم يتشابهون... هيئتهم واحدة كأنهم خرجوا من رحم واحدة، نظرت إلى نور تشبه اليابانيين .. اسمه «بلَه مغولى» ولكنها جميلة حقًا وهى تقبله وهى تضحك، وهو وسيم جدًا ولكنه يتلعثم فى نطق الحروف .. قال لها ... انتظرى يا سناء.. وأنه سيأتى ليصنع البيت الصغير... ولم يأت... أصبحت على مشارف الخمسين ترعى أمها العجوز .. تفتت الطعام لتضعه فى فمها وتذهب بها للمرحاض، وتدفئ الماء لتحممها.. كل هذا... ولم يأت .

ـ الشاى يا حضرة المديرة

انتبهت وأشارت بيدها أن يتركه على المكتب

نهضت وسحبت المقعد إلى مكانه خلف المكتب وجلست تقلب بعض الأوراق... ومسحت دمعة كانت تنزلق.

منولوج داخلى

(بينما نور تجلس تحت شجرة الجميز)

بعد الظهر... بعد المدرسة.. صلاح الدين.. الفيلم بعد الظهر.. سأدير التلفزيون، أشاهده... السيف ضرب عنق البقرة السوداء التى تقف هناك فانبثق اللبن الأبيض يروى الزرع الأخضر، وقفز الكتكوت الصغير على كتفى وأنا تحت الشجرة، وشوكة أو شىء ما تحتى سينغرس فى وركى، وخراء العصفور اللعين يسقط على كتفى؛ فأنا تحت الشجرة وأرى بيتنا كأنه بيت (لعبة) من الكرتون... هنااااك .

أبى صدره عارٍ تحت الملاءة البيضاء وأمى تحكم الملاءة على صدرها أيضًا وفخذها ينكشف تحت الملاءة، اليوم أخرجونا مبكرًا من المدرسة لمناسبة سعيدة ما تمر بها البلد، شرحتها لنا ماما سناء ولم أفهمها.

يقبلها وتضحك، ثم يفعل شيئًا ما يحزنها، يغضبها ويؤلمها يجعلها تصرخ وتبكى... لكن بلا دموع، ولاشك أنه صالحها فتبتسم بفرح وتحتضن رقبته وتقبله ويقبلها.. هى تصرخ وهو ينِّزِّ عرقًا والجو بارد.

قالت آمى:

- الشباك مفتوح .. نور بتبص علينا... استنى .. استنى

قال آبى.. لآمى:

- يعنى هى فاهمه حاجه سيبيها تبص

وقالت ماما سناء لنا:

- اليوم ذكرى الانتصار العظيم .

وقالت البنت الحلوة فى التليفزيون وهى تنظر لى :

- سنعرض اليوم فيلم صلاح الدين الأيوبى.. كل عام وأنتم بخير، اليوم ذكرى الانتصار العظيم .

وقال هادى لمدرس الرسم :

- آرسم صوره شجره؟

قال مدرس الرسم :

- لا ... ارسم عن الانتصار العظيم .

العصفور مازال يسقط خراءه على كتفى، سوف أقطع رقبته كما فعل صلاح الدين مع الرجل ذى القرنين.

ماما سناء ليست ماما... لا يستطيع بابا أن يجعلها تصرخ كما تفعل أمى، ولو فكر أن يفعل هذا ستضربه بالعصا بشدة وتجعل يده

حمراء، كما فعلت معى بعد أن غادرت المرأة التى تمسك الميكروفون فى يدها والرجل الذى يحمل الكاميرا على كتفه... كانت يدى تؤلمنى وبكيت وصرخت ولم أستطع مسك القلم أو أرسم، ماذا تفعل ماما سناء الآن...؟

ربما تجلس على مكتبها فى المدرسة أو فى البيت بين كتب وأوراق كثيرة، وتضع نظارتها الطبية على عينيها ورنين التليفون لا ينقطع، ربما يتصل بها صلاح الدين نفسه ليشكرها لأنها أخرجتنا مبكراً حتى نشاهده فى التليفزيون، وربما تظهر الآن فى التليفزيون تقول لى..

«قولى يا نور إيه عاوزة تطلعي لما تكبري..؟

وتظهر ابتسامة المذيعة الجميلة فى الكادر ولكن هادى يشوشر على الصوت بتهتهته.. لكننى أحبه.. . هو ولد طيب.. لكنه خوّاف .

أكون..

ماذا أريد أن أكون ... أكون.. ماذا أريد ؟

نعم.. نعم... أريد أن أكون مثل ماما سناء لا يستطيع أبى أن يجعلها تصرخ .

أو أكون مثل العصفور الجالس فوق شجرة الجميز التى أجلس تحتها الذى يسقط خراءه فى الهواء على الجميع - كلهم - حتى أنا.

أكون مثل الفتاة التى تقاتل بالسيف وتحمل الصليب على ملابسها .. ملابس حرب... الفتاة خلعت ملابسها... ملابس الحرب ..وقبّلها - فى فمها - عيسى العوام... العوام..

أريد أن أكون سمكة.. تعوم... وتعوم
مثل السمك الصغير فى الترعة التى أجلس أمامها ..
قال مدرس العلوم:
ـ السمك الصغير الذى ترونه فى الترعة ليس سمكًا.. هو ضفادع لم تنم بعد وتأخذ شكلها المألوف؟ الأهبل.. ضفادع ..إنه سمك... بُص... بُص يا اهبل.. ها هو سمك يعوم ويبلبط فى الماء.

ضحـك

كان عضو مجلس الشعب يجلس منتشياً وهو يقدم الشيك لسناء، قال إنه مساعدة بسيطة، وبعد الانتخابات سيضع المدرسة ومشاكلها فى أولوياته، وقال ـ أيضًا ـ إنه سيشارك الأطفال اليوم فى ذكرى انتصار أكتوبر العظيم .

* * *

الاحتفال بالانتصار العظيم ....

والهُبْل ...والذين يتهتهون ..والعاجزون عن الكلام فى المنتصف، ويرسمون أعلامًا ترفرف وأعلامًا تسحقها الأحذية ... يرسمون جثثًا ميتة تنز دمًا.. وجثثًا تمسك بالبنادق وتجرى... وحصون يختبئ فيها الآخرون.

رسْمهم واحد

الأحياء هم هم

المختبئون فى الحصون هم هم

هيئتهم واحدة

الرب مسخهم بهيئة واحدة مغايرة عن البشر، البشر المؤمنون قال لهم الرب كان يمكن أن أخلقكم هكذا... مثل هؤلاء الهُبْل ترسمون فى المدرسة ما يملى عليكم..

و .. لترسموا أيها الهُبْل الملعونون.. ولتبتسم أيها المدرس الأبله عندما يسألك هادى كيف يرسم العلم وهو يرفرف .. لتبتسم وتشعل سيجارتك وتخرج من الفصل تضاحك المدرسة الحسناء كطاووس مغرور فى موسم التزاوج... وتبتسم أكثر لتظهر أسنانك وضروسك وأنيابك، ولتقرب ابتسامتك نحو الضحك، نعم أنت تنجح.. هاهى تضحك، فتاتك تضحك.. اضحك أنت كذلك... أمامك فسحة من الوقت ليفرغوا من رسمهم، اضحك أكثر وابتسم فإن «غلاسة» الولد الذى يتهته انكبت على الرسم ولن يسألك كيف يرسم العلم وهو يرفرف..

اضحك...

نفس الضحكة.. نفس الابتسامة..

كان الرجل البدين ذو رابطة العنق يضحك، ويبتسم نفس الابتسامة التى تنفلج فتظهر الأسنان الصفراء.. والرجل ذو الكاميرا الصغيرة يلاحقها بومضته الضوئية السريعة.

تك..تك .. فلاش

ضوء يسطع فجأة ويختفى... يجسد الابتسامات والضحكات،

يجسدها ويجالسكم أيها الهُبْل على ساقيه، وكرشه مضغوط فى جلسته بانتشاء على المقعد، يمسح مخاط أنوفكم ولعابكم السائل على الملابس..

ويضحك ويوزع عليكم حلوى وملابس ودمى وأوراق عليها كلام .. كلام كثير و عليها صورته... يضحك .. صورته.. يبتسم . صورته ورمزه... حوت ضخم .. رمزه الانتخابى.

والمدرسون يضحكون ويصفقون بأيديهم .. ويبتسمون، وكاميرات صغيرة يسطع الضوء بها فجأة، وكاميرات كبيرة محمولة على الأكتاف، وربطات عنق كثيرة وميكروفون.. وضحك.. ضحك كثيييير

والضحك يظهر فى الصورة.. أنظروا هاهو الضحك... ها أنتم الهُبْل أصحاب القلوب البريئة... وهاهم رجال البر.. والكل فى الصورة يأخذ مكانه والكل فى الصورة يضحك.

فـى الليـل

كان الوقت ليلاً...

والطقس فى تقلبه غادر نهاره الدافئ، واقتحمت البرودة عمق ليلة برمهات الهادئة، والمدرسة فى المنتصف بين المدينة والقرية مستسلمة للظلام الذى سينقشع لتبدأ رحلتها اليومية الممتلئة بالصخب.....

(الليلة واحدة والبيوت ثلاثة)

سنـــاء

فى أحد الشوارع الفرعية للمدينة، ظل البيت ببابه الخشبى القديم ذى المفتاح الذى يملأ قبضة اليد كما هو رغم المبانى الجديدة التى انتصبت فجأة فى غفلة منه، فقد ظل رماديًا كالحًا بسقفه العالى المحمول على العروق الخشبية الضخمة الواصلة بين كل حائطين متقابلين، وقد أمسكت مروحة جديدة بأحد هذه العروق فى الغرفة المطلة على الشارع، ولم تكن هذه المروحة دائرة عندما جلست سناء تحتها على حافة السرير تقطع أصابع الموز الرخوة إلى شرائح صغيرة تلقم بها فم المرأة العجوز المستندة على الوسادة.

وضعت قطعة الموز فى فمها وفكرت أنه من الصعب أن يفقد الجسم الحى، وظائف الحياة تدريجيًا... تنعدم القدرة على الممارسة الجنسية ثم يصعب السير وتحريك المفاصل ويتساقط الشعر والأسنان هكذا بكل بساطة، ما كان يكتسبه بالتدريج وهو صغير

يفقده بالتدريج وهو كبير، ويعاود الدخول للرحم الذى خرج منه ولكن لدنيا جديدة لا نعرف عنها شيئًا كانت الأنبياء تبشر بها فى كل العصور، وهنا فى دنيتنا هذه نقول ببساطة ـ أيضًا ـ عندما يغادرنا أحد للرحم غير المعلوم أنه «استراح»، وما بين الرحم الأمومى والرحم السمائى تتشكل ملامح الضعف والإجبار، نخرج من أحدهما صارخين ـ ربما رفض ـ وندخل للآخر هادئين مترقبين.

قالت لنفسها: علىّ اختيار فاكهة طرية وسهلة المضغ غير الموز، ثم استراحت إلى استبدال الموز بعصير المانجو الذى ستشتريه غداً عندما تعود من المدرسة.

وبعد أن فرغ الطبق سحبت الوسادة من تحت كتفيها برفق، وأزاحتها قليلاً لتدخلها تحت الغطاء وجعلت يديها داخله وانحل غطاء الرأس فظهر شعر المرأة الأبيض كزغب القطن النقى، فاتجهت سناء ناحية النافذة وأحكمت غلقها لتتجنب برودة ليلة برمهات الخادعة، هكذا كانت تقول عنها أمها «ليلة برمهات خادعة».

وقبل أن تخرج سمعت المرأة تهمهم.. . التفتت ناحيتها

ـ محتاجه حاجه يا ماما؟

وعندما لم ترد المرأة... قالت:

ـ تصبحى على خير

وأطفأت النور وخرجت.

وفى المطبخ أفرغت قشر الموز فى صندوق القمامة وغسلت الطبق وخرجت للصالة وأدارت التليفزيون، كان برنامج «نادى السينما»

سيعرض فيلم أحدب نوتردام، تابعت باهتمام وقالت بصوت مسموع: كويس.

وكانت قد قرأت رواية أحدب نوتردام ولم تشاهدها كفيلم وجال بذهنها الأدب، نهضت ناحية غرفتها وأخذت ملفًا من أعلى المكتب وخرجت للصالة أمام التليفزيون مرة أخرى .. قلبت ملف القصص التى كتبتها والمرتبة فى قصاصات منشورة فى الصحف وهى تتسمع الحوار الدائر بين المذيعة وضيف البرنامج، طالعت القصص و أعادت ترتيبها باهتمام ثم أزاحته بغير اهتمام وحدقت فى المذيعة، تشبه لحد كبير المذيعة التى أطاحت نور بميكروفونها (هكذا خُيل لها) .

ظهرت علامات التقزز على وجهها وقالت بصوت مسموع وهى تشير بيدها كأنها تكلم أحدًا غير مرئى :

ـ غبيه.. قال إيه... عاوزه تتطلعى إيه لما تكبرى... غبيه .. مذيعه معتوهه .

وقالت وهى تؤنب نفسها :

ـ وأنا ضربت نور .. إيه ذنبها... كان لازم أضرب المذيعه الهبله دى.

هـــادى

ـ مسكين .

قالتها زوجة خاله وعيناها تكادان تبكيان تأثراً والحجارة تحاصر الأحدب وهى مقرفصة بجوار التليفزيون... لا تتابع الفيلم ولا تجيد قراءة الترجمة، ولكنها انفعلت فقط بالمشهد ثم قالت لهادى فى جملة قاطعة :

ـ قوم نام.. الوقت تأخر.. عندك مدرسه .

ولكنه لم يتحرك من جلسته بجوار خاله الذى كان يدخن سيجارة، كان ساكنًا، حرك وجهه فقط ناحية خاله وألقى سؤاله الذى بدا كمفاجأة، إذ علت الدهشة وجه خاله وزوجته .. قال :

ـ ليه معندكش أولاد يا خالى..؟

التفت الخال ناحية زوجته التى بدت ملامحها تتحول من الدهشة إلى الغضب وتأففت...

أعاد بصره لهادى وقال كمن يقرر شيئًا منطقيًا :

- نصيب

كان الخال يشعر بتحسن ملحوظ عند هادى حتى إنه شفى تقريباً من التهتهة، ولكن كان عليه أن يوفق بين إثنائه عن الأسئلة التى تبدو محرجة وصعبة من ناحية، والحوار معه من حين لآخر حتى يذيب الخوف ويقضى على التهتهة والانطواء (هكذا نصحه الطبيب) .

ثم قال أيضاً:

- مجرد عمليه بسيطه وممكن أخلف

قال هادى:

- خلاص اعملها

- أنا راضى بقسمة ربنا... قلت مش مهم الأولاد

قالت زوجة خاله بنفاد صبر

- كفايه كده.. قوم نام

وقام... ذهب لغرفته وعندما وضع رأسه على الوسادة، استمع لبعض الكلمات النافرة من حوار بدأ توًا بين خاله وزوجته..

قالت :

- شوف حل

وقالت:

- أنا تعبت

وقالت أيضاً:

- مش قادرة أستحمل

وعندما بدأ النعاس يغلف عينيه داهمه مشهد رجم الأحدب فشعر بالخوف.. ولكنه نام .

نـــور

فى نفس الليلة .. من شهر برمهات

كانت ثمة شكوى تشعر نور أن والدها يبثها لوالدتها

كان يقول:

ـ أعمل إيه ؟

ويقول:

ـ الحياه مرار والعيشه نار

ويقول:

ـ أدبرها من فين بس ؟

ثم يعاود القول :

ـ أعمل إيه ؟

شعرت نور أن هناك توترًا ما يكتسح هواء البيت، وفى رغبة منها للقضاء على هذا التوتر اقتادت والدها ـ أمام دهشة والدتها ـ إلى

فراشها وأخرجت من تحت الوسادة كيسًا بلاستيكيًا أسود وكورته بيديها ودفعته لوالدها بابتسامة راضية... كان به نقود قليلة حصيلة جمع ما يعطيه لها والدها أو زوار البيت أو فائض مصروفها الذى تأخذه من والدتها .

أخفت والدتها ابتسامة، بينما أخذ والدها الموقف ذريعة للانفجار فكور الكيس وألقاه فى وجهها وهو يصرخ :

ـ هى كانت ناقصاك يا بنت الكلب

ابتسمت والدتها، وسحبته من يده خارجًا وقالت :

ـ البت عايزه تساعدك... على قد فهمها

.... مزقت نور نقودها القليلة... وبكت ثم نامت

الحلـم

كانت سناء تفكر..

مكافأة آخر العام الدراسى، وسلفة صغيرة من نقابة المعلمين وسوف تقدم اعتذارا للحر، وتذهب شهراً للإسكندرية..

كانت تحب السفر..

منحها موت والدها قسطًا من الحرية، لم يكن السفر نفسه ما يغريها، كانت وسيلته تقوم بالغرض الكافى، تأخذ الأتوبيس الصغير ـ كان بقرشين ـ ذهابًا وإيابًا على خط سيره... هكذا دون آدنى هدف سوى أن ترتج على المطبات التى يجتازها، أو تتصفح الإعلانات والملصقات على البنايات التى تجرى على جانبى الطريق... تسرح وتفكر فى كل شىء، مشروع لقصة ما... أمنيات مستقبلية.. إحباطات فى الماضى... كل شىء.

وكل شىء كان يتبخر بنزولها... فلا قصة ستكتب ولا

مشروعات ستتحقق.

وكأن الفرح هو طيارتها التى ستحملها إلى وطن آخر حينما جاءتها الإعارة وكانت إعارتها فى وطن شديد الحدة، حاد فى كل شىء... لا مكان للوسطية، كل ما يطرحه كان شديداً، ثوابه وعقابه، برده وحره، ثراؤه وفقره... وثوابه هبات وعطايا مهولة تخرج من جوف الأرض، حره يحتاج إلى تكييف الشوارع والطرقات، وبرده يجبر الناس على حظر التجول، أثرياؤه يطلبون عشاءهم بالتليفون من مطاعم فرنسا، وفقراؤه من الغرباء.. الرجال تبيع قوتها وعافيتها فى الموانئ والمتاجر، والنساء تبيع جمالها فى المنازل والفنادق.

وفى مجال العمل لم يكن التغير كبيراً فهذه الكائنات التى تعلمها وتربيها لا تعترف بالأوطان... لهم وطنهم الخاص بهم الذى يحملونه داخلهم... حتى هيئتهم عالمية تتحدى الحدود الجغرافية.

شىء واحد هو ما لفت انتباهها، أن كل الذين معها فى العمل على كثرة أوطانهم ولغاتهم وأديانهم، كان يشغلهم هدف واحد هو المال.

وبالتحديد بدأ الحلم هنا فى وطن غريب... حلم مزعج.. لا لم يكن مزعجاً كان فقط تكراره هو المزعج.

كانت شديدة التعب، ألقت نفسها على الفراش ولم تكن الأفكار بالعمق أو الكثرة التى تؤخر النعاس السريع، بدا الأمر وكأنها تتموّج على الفراش،كان الفراش كقطعة الخشب المسطحة العائمة على الماء التى ستنقلها إلى المدرسة التى تقف منتصبة بين المدينة والقرية، وسناء عارية تماماً تسير فى الشارع هكذا... ولم يكن العراء يثير

الاندهاش لدى السائرين بجوارها، كانت المدرسة / القصر تمتلئ بالأنوار الساطعة المتنوعة، وتوحى أن هناك احتفالاً ما وسيارات الباشوات والبكوات المرسيدس القديمة تصطف أمامها يخرج منها الهُبْل والذين يتهتهون والمصابون بالبله المغولى، يرتدون البدل السموكن وفساتين السهرة عارية الأكتاف ويندفعون فى مرح إلى القصر/ المدرسة يتراقصون ويتضاحكون وسناء العارية تمامًا تندفع نحوهم تصرخ فيهم أن يكفوا عن هذا الهرج وتتصايح بأسماء بعض المدرسين وباسم الفَرّاش، ولا يجيبها أحد وكأنهم - وهى بينهم - لا يشعرون بها وهنا تشعر أنها عارية تمامًا... هكذا فجأة تكتشف عُريها وتنظر بخوف ودهشة إلى أعضائها، ويشغلها فى هذا الوقت أن تذهب إلى بيتها تندس فى فراشها وتتدثر بالأغطية، ولكن كيف تسير من المدرسة التى فى المنتصف بين المدينة والقرية إلى منتصف المدينة، كيف تعبر أمام البقال والجزار وبائع الخضروات... همت أن تطلب ما يسترها من هؤلاء الهُبْل، ولكنها خجلت من أعضائها العارية وأبَتْ أن تفعل ذلك.

كان الحلم ساخنًا حارًا عندما استيقظت، كان العرق يغطى كل كيانها ولم تهتم به تجاوزته بحذر وخوف ثم تناسته إلى أن تكرر... وتكرر... وتكرر أخيراً وكانت تبدو نور فى الحلم بوضوح تراقص هادى وتنظر إلى سناء بسخرية وهى تضحك، وأخيراً وصل الحلم إلى مداه الذى يدفعها إلى الانتحار أحيانًا، وسألت نفسها فى خوف وسخرية:

(أهى بوادر الجنون يا سناء..؟؟)

وفكرت أنه ربما مكافأة آخر العام الدراسى، وسلفة نقابة المعلمين وسوف تذهب أسبوعًا لإحدى المصحات النفسية الرأسمالية المشهورة التى انتشرت فى، البلد، كالفنادق الخمس نجوم فى اقتصارها على الصفوة الثرية..

ولم لا.. ألم يحن الوقت لنتعامل مع الحياة ببعض الحضارية، وهى المثقفة الواعية الدارسة لعلم النفس، والتى تعرف مصداقيته فى التعرف على بواطن النفوس البشرية.

والمصحة النفسية على كل حال ليست مستشفى مجانين .. هو حلم فحسب، وليس حقيقة أنها سارت عارية أمام الناس فى حلم وليس فى الواقع.. قالت :

ـ نعم... لست مجنونة..كبار الباشوات الجدد من رجال الأعمال يقضون أسبوعًا دوريًا فى هذه المصحات للاستشفاء النفسى من إرهاق العمل... نعم.. شىء طبيعى..

ولكن لماذا بدأ هذا الحلم هناك فى هذا الوطن الغريب (تساءلت سناء)...

ألانها استقبلته فى مرح ولكنه بصق فى وجهها.. كان صعبًا عليها أن ترى مشهدًا لقطع يد بشرية.

سرقت.. وليكن. يسرق. ومَن مِن هؤلاء الأكابر لا يسرق، هذا العقاب يدفع الذهن إلى تحويل الجريمة إلى رأى، فالسرقة هنا رأى تمامًا، كما كان يقصد ديستوفيسكى، فالقتل فى روايته «الجريمة

والعقاب» مجرد رأى وتتحول المنظومة الكائنة من الجريمة والعقاب إلى الرأى والعقاب، من ميزان العدالة إلى مستنقع السياسة.. الفكرة والفعل كلاهما قابل للبتر.

الرجل الذى سرق وبترت يده، كعلامة قابيل الذى وصم بها الله جبينه طيلة حياته، قام بالفعل الذى يستحق البتر، وشهدى عطية الشافعى الذى يحمل دماغًا بها أفكارًا تستحق البتر.. امتزج سائل دماغه هذا برمال صحراء المعتقل... ولكن العقاب ليس عادلاً تمامًا؛ ففكرة شهدى عاشت رغم موته، ولفظة «السارق» لصقت بالرجل - مقطوع اليد - رغم معاقبته.. وكأن العدل البشرى العارى تمامًا يظهر لنا عورته البشعة..

والحقيقة أن سناء تذكرت الكف المبتور مع تذكرها للحلم المزعج... وكأن الحلم يستدعى الحلم، وما أضحكها بمرارة فى هذه اللحظة صورة الممرضات الأجنبيات الشقراوات، وهن ينتظرن بتر الكف حتى يسعفن جراح الرجل، ويمنعن الدماء المنسابة بالشاش الأبيض و المطهرات .. الجرح والدواء... السياف وملائكة الرحمة... والكف المبتور يدفن وحيدا.

خَلْق

خيط كغزل العنكبوت دقيق... لا يُرى إلا إذا عززته الشمس بانعكاساتها عليه.. خيط ضعيف هو ما يربط بين هذه الكائنات المعوقة عقليًا من ناحية والجماد من ناحية أخرى... فما الفرق بين نور والمنضدة الخشبية.. لا ترى.. لا تسمع.. وفضلاً على ذلك لا تفهم، هذه الرؤية الحقيقية للبشر المعافين تجاه البشر المعاقين... انظر إن الفرق اللغوى بين الفريقين «نقطة»؛ مجرد نقطة فوق الفاء لتتحول إلى قاف أو نحذفها من القاف لتتحول إلى فاء... ما هذا؟؟

هل هذه النقطة هى القدر.. أو بتعبير أقل جنوحًا هى شبيهة للقدر،فالله عندما يصيب إنسانًا فى حادث ما بعاهة يضع نقطة فوق كلمة «المعافين» لتصبح «المعاقين»... ألم يقل الإنجيل إن الله هو «كلمة»؟!

إذًا التغيير مجرد نقطة.. هادى كان يلعب «البلى» فى الشارع

وجاءه التغيير مرة واحدة.. النقطة حولته من (معاف) إلى (مُعاق).

ولا يصح أن أترك هذه الدنيا التى خلقتها وأطلقت عليها «مواقيت التعرى»، وألبستها ثوب رواية أن تسير هكذا دون أن أفهمها، وإن لم يفهمها الصانع هل يفهمها المصنوع؟!.. سناء وهادى ونور هل يعرفوا ما حولهم أكثر منى، وأنا الذى وضعتهم فيه، وجعلتهم يتفاعلون فى قارورة كيميائية تمتلئ بالفقاعات.

آنا لا أقصد الصفة الربانية للخلق... دعونى أوضح الأمر قبل أن أدخل فى صلب التفاعل البشرى الرهيب الذى سيحدث الآن..

لوحة الموناليزا مثلاً رسم لامرأة ليست جميلة، حتى ابتسامتها ليست كاملة، فهى ابتسامة معقدة خبيثة لا تفهم ما تعنيه لك هذه الابتسامة، ولكن إذا نفخ فيها الفنان من فكره تصبح «معنى» كما نفخ الله من روحه فى آدم فأصبح إنسانًا، والنحّات الذى يأخذ حجرًا صلدا بليدًا فظيعًا لا معنى له تمامًا كالتراب أو الطين الذى خلق منه آدم.. فلابد لهذا الفنان أن ينفخ فى هذا الحجر من فنه ليصبح معنى... وأنا كذلك عندما أخلق أسماء تتفاعل فى محيط مكانى معين... يأكلون ويتشاجرون ويبكون ويضحكون.. ليس الأمر بهذه البلاهة، فلابد آن أنفخ من روح الرواية فيهم... وقد قررت أن آعطيهم قدرًا من الحرية وسلطة كبيرة للقدر أن يعبث بهم كيفما يشاء، والآن جاء دورى أن أنفخ المعنى.. روح الرواية .

ولكننى أؤكد أننا كبشر مهما وصلنا إلى أقصى غايات الكمال فى الخَلْق... لن نصل إلى درجة الخَلْق الإلهى العظيم... شيئًا

واحداً لا نستطيع أن نحققه مهما بلغنا درجات الكمال .. وهو أن نجعل ما نصنع يتمرد علينا، فهذا النحّات يستطيع أن يحمل تمثاله وينقله إلى أى مكان دون أن يتمرد عليه.. يستطيع أن يضعه فى وضع أفقى أو رأسى ولن يقول التمثال (لا)... ولكن الله خلقنا وجعلنا نتمرد، فيقول لا تكذب ولكننا نكذب.. لا تسرق ولكننا نسرق.. إذاً بصورة أخرى فإن الخطيئة جميلة لأنها تعبر عن مجد الله فى خلقه، والتمرد لذيذ لأنه يعبر عن عظمة الخالق الكامل.

وهذا الإيضاح أعلنه مسبقًا تحسبًا لأية عواقب قد تثيرها الرواية ممن يقرأون اللفظ الخالى من نفخة الروح لمن يرى فى لوحة الموناليزا لوحة لامرأة تعيسة فقط.

ونعود إلى الرواية والتفاعل البشرى الذى هو أخطر التفاعلات لأنك تتعامل مع شخصيات يفترض فيها العقل والروح.. ولكن ما الذى دفعنى أن أقول أن نور كالمنضدة الخشبية.. هذا ما أعتبره جزءًا من منظومة التأثير الكلية التى صنعتها الشخصيات الفرعية فى الأبطال الثلاثة: هادى ونور وسناء.. كالتالى

.....

.....

.....

والد نـــور

(١)

ـ الشباك مفتوح.. نور بتبص علينا... استنى .. استنى.

هكذا قالت والدة نور لزوجها (والد نور) بينما كانا معًا على الفراش .

كان الرجل غارقًا فى النشوة.. رفع رأسه وقطرات العرق تعطل الرؤية ونظر نحو نور الواقفة بجوار المنضدة الخشبية تنظر لهما ... ارتجف، شعر للحظة أنه عارٍ... دقّق النظر وقطرات العرق تحتوى عينيه، وجد ابتسامة تبدأ فى التكوين على شفتى نور، وأعاد النظر إلى المنضدة الخشبية بجوار نور... شعر أن السائل سوف ينتقل من جسده إلى جسد زوجته، ونظر نظرة أخيرة إلى المنضدة الخشبية ثم إلى نور .. قال لزوجته :

ـ يعنى هى فاهمة حاجة... سيبيها تبص .

(2)

المشكلة أنه وقع فى ضائقة مالية ـ لا تهم تفاصيلها ـ وكانت نور تستمع للحوار الدائر بينه وبين والدتها ... قال :

ـ آعمل إيه

وقال:

ـ الحياه مرار

وقال:

ـ آدبرها من فين ..

وعاد يقول:

ـ أعمل إيه ..

ثم فوجئ بنور تقوده نحو فراشها وتمنحه كيسها الأسود الممتلئ بفائض مصروفها.. أراد لحظتها أن يحتضنها ويقبلها فهى طيبة القلب جداً يمكن الاتكال عليها حينما يكبر ويشيخ.. نظر ناحية نور، وفكر إذا كان حقيقة يمكن الاتكال على هذه المتخلفة عقلياً فى شيخوخته، وشعر أن تخلفها هذا سبب المصائب وسبب لكل الخوف الذى ينهش قلبه عليها، وفى هذه اللحظة ابتسمت زوجته ابتسامة راضية عن تربيتها لنور، حركت ابتسامتها الرجولة الكامنة داخله وشعر بالعجز آمام أنوثة الزوجة وأنوثة الابنة، شعر بالمهانة وهو الرجل الذى يفترض فيه القيادة والقوة... صرخ فى نور :

ـ هو آنا ناقصك يا بنت الكلب

والد سناء - والدة سناء

صاحب الكف المبتور

(١) والد سناء ـ الفاعل

يقع مكان والد سناء فى حياة ابنته سناء موقع الفاعل فى الجملة المفيدة...

لن تنسى سناء أبدًا تفاصيل هذه القصة..

كانت سناء الطفلة قد دخلت توًا إلى عالم الفتيات، وصار تميزها كأنثى واضحًا جدًا، وكنوع من تفعيل هذا الانتقال المفاجئ اشترت من مصروفها أصبع أحمر شفاه «روج» كانت تطلى شفتيها وتخرج به تتجول وهى تترقب نظرات الناس لها وتترقبهم نظراتها هى أيضًا ربما كان منهم من يعرفها أو يعرف والدها، أما عن «الروج» فقد شعرت به ثقيلاً على شفتيها حتى إنها ظهرت أمام نفسها ـ أو هكذا خيل لها ـ مثل فتاة أفريقية ضخمة الشفتين.

ولا تعرف كيف عرف والدها... له رهبة عجيبة، يعرف كل شيء حتى أحلامها، نالت منه صفعة قاسية وبعض الشتائم ولم يأخذ أصبع الروج منها بل تركه لها...

هل كان رجلاً حكيمًا إلى هذه الدرجة ؟؟

ربما وهو الرجل العسكرى الذى يتفاخر دائمًا أنه حاصل على «وسام الجمهورية»، كان متأكدًا أنه لو أخذه منها ستشترى غيره ولكنه تركه لها مع العقاب.

العقاب سهل، وأعراضه... احمرار مؤقت على الخد الأيسر نتيجة الصفعة، وبعض الشتائم التى لن تلصق بالطبع فى سناء طيلة حياتها، ولكنه ترك لها أصبع الروج وهذا هو عقابها الحقيقى... ترك خطيئتها لتعذبها كلما رأتها، وهل كان متأكدًا أنها ستتخلص منه بنفسها.

صار والد سناء (فاعلاً) فى حياة ابنته حتى بعد موته، ظل (فاعلاً) بنفس القوة التى كان عليها فى حياته، لأنه ببساطة نقل كيانه إلى داخل سناء كما ينتقل السائل المنوى من جسد إلى جسد، لذلك تكون داخل سناء جنينًا... صورة منه يمنعها أو يحفزها على الأفعال المختلفة، بعد موته شعرت سناء أنها نالت قسطًا من الحرية ثم ما لبثت أن تأكدت أن الجبر الآن قد صار داخلها، صارت جزأين متناقضين، إذا ما غلب أحدهما الآخر تتحول حياتها إلى جحيم .

(2) والدة سناء.. الفعل

يقع مكان والدة سناء فى حياة ابنتها موقع الفعل فى الجملة المفيدة.

تلك العجوز التى تنتظر الموت ولن تترك فراشها إلى أن يأتى تمامًا كالعروس التى تنتظر حبيبها على فراش الحب.. حبيبها الذى سينقلها إلى عالم آخر... كانت تمثل الفعل الجميل الذى سينقذ سناء من تناحر الكيانين المتناقضين داخلها، وهذا ما تريده سناء بالفعل، تريد الانتظار على الفراش... جاهزة وخاملة ومستسلمة للقادم المجهول.

أحيانًا كانت تتمرد على نطفة والدها الكامنة بداخلها، فتفرغ كبت السنوات الماضية مرة واحدة بحرية تغتصبها من الحياة عنوة ثم تتحرك نزعة الإجبار فتعود بها إلى الخمول.. إلى فراش والدتها.

لذلك صارت فى شد وجذب بين الكيانين .. كيانها الخاص وكيان والدها .. وهذا ما دفعها إلى أن تكتب حينما تعجز عن الفعل، اكتشفت اختراع الكتابة الذى يجعلها تفعل ما تعجز عنه فى الواقع على الورق، تعريف الأدب بالنسبة لسناء هو «البوح الصامت للألم الغائر».

ولا نعرف بالضبط لماذا كتبت سناء هذا الفصل من روايتها بالتحديد عندما رأت هادى ونور يتأرجحان .. ربما أرادت تجسيد العرى الذى تملَّكَ منها وهى تراقبهما وتنتظر سلوكًا قبيحًا من إخراج مخيلتها هى... ثم احتفلت بخيبتها فى كتابة هذا الفصل من

م5- مواقيت التعرى (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

الرواية، فكيان والدها هو الذى توقع السلوك القبيح وكيانها الخاص هو الذى عجز عن الفعل الحقيقى ففعله على الورق.

وهى دائمًا فى المنتصف بين كيان والدها وكيانها الخاص... هى فى المنتصف دائمًا تراقب هادى ونور وتنتظر .. تنتظر دائمًا فعلاً لم يفعل، مثل كاتب قصة تعصاه شخصياته.

(3) صاحب الكف المبتور - المفعول به

وليكتمل إعراب الجملة المفيدة كان لابد من مفعول به.. صاحب الكف المبتور، فعل البتر الذى يملأ سلوك سناء.

لم تر وقائع بتر الكف (سمعت وتخيلت فقط)، وكذلك لم تعرف ماهية الحلم الذى بدأ مع هذه الواقعة واستمر .. حتى الآن.

ولكننى ككاتب لهذه الرواية أعرف و أستطيع أن أفسر..

كانت فرحتها بالإعارة تكمن فى السفر فقط كغلبة لكيانها الخاص على كيان والدها.. ثم بدأ الصراع.

كيانها الخاص منحها الحرية الكافية للانطلاق نحو وطن آخر مجهول تريد أن تستكشفه، وكيان والدها جعل من سفرها هذا أداة لتعذيبها.. أداة لبتر الحرية التى حصلت عليها كأصبع الروح تمامًا وأرسل هذا الصراع إلى عقلها الباطن لكى يحذرها ويبعث لها برسالة مفادها: «يا سناء انتبهى إن الجنين الذى تحملينه من والدك مازال حيًا يرزق».

فهمت مضمون الرسالة وشعرت بالخوف لأنها تعرت فجأة فى

وطن غريب، ولن تستطيع الاستجارة بأحد.

ومع تقدمها فى العمر كان الحلم يستمر... يظهر فجأة.. يختفى فجأة.. لكنه موجود، يعلن عن وجوده بقوة.

وهى فى المنتصف بين الشد والجذب تتطلع إلى نور، تتطلع إلى الانتهاء من الانتظار المقيت الذى يجعلها فى المنتصف دائما لا هى هناك ولا هى هنا.

منصور الفرّاش

كان يجسّد المثل العربى الشهير «القشة التى قصمت ظهر البعير»، انظر الفصل التالى .....

انفجـار

كان هادى متكئًا على العمود الخرسانى الفاصل بين درجات السلم وممر يقود للمسرح، وقد نبتت بعض الشعيرات المحدودة فى صدره تظهر من خلال ياقة قميصه المفتوحة، وكانت نور بجواره، وكان منصور الفرّاش يجهز المسرح لندوة أو لقاء ما أو شىء من هذا القبيل... لم يكن الأمر يعنى هادى ونور فى شىء.

ولكن منصور الفرّاش الذى يحمل عددًا من المقاعد البلاستيك بدت أنها فوق طاقته اصطدم بكتف هادى.. فابتعد هادى قليلاً ولكن جاءه رد منصور الفرّاش وقحًا وهو يضحك بسخرية:

ـ حاسب .. حاسب يابو نص لسان

ابتسم هادى ابتسامة ساخرة راضية، وقدماه تكادان تنغرس فى الأرض خجلاً... نظر لوجه نور المتوتر وكرر ابتسامته على نحو ما.. كأنه يقول إن الأمر لا يعدو كونه مداعبة بين اثنين أصدقاء، وإن

الأمر مر سريعًا وانتهى ولا داعى لوجهك المتوتر هذا وإننى لا أهتم.

نظرت نور لهادى وكأنها تستثيره لفعل ما، ولكنها عندما وجدت ابتسامته الراضية ازدادت توترًا واندفعت نحو منصور الفرّاش وهى تصرخ فيه:

- انت قليل الأدب

* * *

ذهبا لجلستهما المعتادة تحت النخلة ولم تعلق نور على ما حدث ولم يعلق هادى أيضًا، وكانا صامتين، وتم كل شىء فى صمت وآلية.. كور هادى الكيس البلاستيك وصنع منه طبقًا، أفرغت نور محتويات السندوتشات كما اعتادا منذ سنوات وجلسا يأكلان والصمت بينهما يأكل صخب الفسحة.

قطع هادى قطعة خبز ودفع بها إلى فمه، شعر بمرارة ما، مضغ على مهل وهو يتحاشى النظر نحو نور ويتأمل قافلة من النمل تحمل فتاتًا وتسير منتظمة... بصق ما فى فمه وهبّ واقفًا ولم يلتفت لنداء نور.

- هادى ..هادى .. رايح فين؟

أسرع بخطوات تشبه الجرى وصعد درجات السلم، واندفع نحو الممر الذى يقود للمسرح، وتجاوز الواقفين وهو يبحث عن منصور الفراش بعينيه الملتفتتين يمينًا ويسارًا.

وعندما وجده اقترب منه أكثر.. وأكثر حتى دهشَ الرجل وفجأة صفعه على وجهه وبصق عليه وقذفه بمقعد كان بجواره هكذا دفعة

واحدة... لم يدع الرجل حتى أن يحاول الدهشة.

نظر نحو التلاميذ الذين تفككوا وأصبحوا كومة فى أحد أركان المسرح... كلهم صوبوا وجوههم نحوه، انفعالات عديدة ميزها فى وجوههم، ومسح دمعة سقطت رغماً عنه وهو يكتشف وجود نور عند باب المسرح تنظر له بحب، ولم يتمالك نفسه عندما صرخ بصوت متماسك خالٍ تماماً من التهتهة.

- يا كلاب يا ولاد الكلب

وخرج منتشياً .

هَذَيْـان

ـ أنا خايف .. الدنيا وحشه

قالها وصمت

سناء تجلس على مكتبها.. قالت بمودة:

ـ إتكلم يا هادى أنا زى ماما

صَمَتَ

شعرت أن هادى ينظر إلى الجائزة.. جائزة أفضل مُدَرِسَّة، التى تعلقها سناء بجوار مكتبها، شعرت أن فى نظراته سخرية مكتومة، أرادت أن تقوم و تحطم الجائزة.. لم تفعل .. نظرت نحو الجائزة ذات الإطار المزركش، وابتسمت، وحولت وجهها إلى هادى.

قالت:

ـ لكن ليه ضربته.. كان لازم تقول لى وأنا أعاقبه.. انت ولد طيب وعيب تعمل كده

قال هادى:

ـ آنا مش زعلان من عم منصور .. لكن كان ممكن أقول له يابو مناخير كبيره زى ما قال لى يابو نص لسان.. حتى نور زعلت منى.

كتمت سناء ضحكتها لأن منصور الفراش فعلاً ذو آنف كبيرة ومفلطحة، ولكنها توقفت عند قوله «حتى إن نور زعلت منى» .. ماذا يقصد بذلك؟

قال هادى :

ـ آنا خايف

استجمعت سناء كل مهاراتها وخبرتها التربوية لتخبره آن الحياة جميلة، ثم ...

فجأة قالت لنفسها «الحياة جميلة» لمن .. لى / لنور / لهادى.. لمن بالتحديد؟ بدا الأمر بالنسبة لها أنها تتقمص دور القسيس الذى يتركونه مع المحكوم عليه بالإعدام ليقنعه بجمال الموت ورقته التى سنؤدى به إلى عالم جميل، وهو نفسه لم يختبر جمال هذا العالم الجديد.

وبينما كان هادى مسترسلاً فى الكلام،كانت تفكر أنه ربما هناك جهاز خفى فى عقولنا البشرية يفصل وبصورة سريعة ومباشرة حلولا وأجوبة جاهزة لكل المواقف، وبحسب وضعية الموقف الحالى وعلى حسب مقاسه بالضبط كماكينة الحياكة... فهذا القسيس ربما فى ليلة واحدة كان عليه الذهاب لزفاف ولمأتم، وعليه أيضًا أن يجهز كلماته بما يناسب جمال الحياة لأصحاب الزفاف، وما يناسب روعة

الموت لأصحاب المأتم، ثم يضيف بعض الإضافات، مثل بعض التعبيرات فى النظرات، وبعض الإيقاعات فى نبرة الصوت، وبعض الحركات المعبرة لليدين فقط كبهارات لحبك طعم الكلام.

قال هادى:

ـ نور دايما تقول لى انت خواف... انت جبان ..

سادت لحظة صمت ثم قال:

ـ بس أنا مش جبان ... أنا مش عايز اتغير

قالت سناء:

ـ تتغير ليه.. انت كويس

قال هادى بحدة :

ـ لا ..مقصدش كده

صمت لحظة يبحث عن مفردات تعبر عما يفكر فيه

ثم قال:

ـ لو بلعب فى ملعب المدرسة ـ مثلاً يعنى ـ ممكن اقع و تنكسر رجلى... ممكن؟

قالت سناء:

ـ ممكن

وقال هادى فى شبه هذيان :

ـ عشان كده مكنتش بلعب معاها ... كنت بحب أقعد تحت النخلة وهى بتحب تجرى... وأنا أخاف أقع وتنكسر رجلى.. أنا مش جبان... أنا أخاف أرقد فى السرير معرفش اتحرك..

أخاف أتغير .. ممكن حياتى فى لحظة تتغير... فى لحظة.. طب وليه

ثم قال وكأنه يؤنب نفسه:

ـ أنا كده جبان..

قالت سناء:

ـ لكن مش عشان خايف رجلك تنكسر تروح تلغى وظيفتها.. لازم تجرى وتلعب.. وإذا وقعت وانكسرت رجلك مش مهم، بكره تخف وتجرى بها تانى... وتانى.. بس تتعلم.

قال هادى بعينين نصف مفتوحتين، وكأنه يهذى :

ـ كان لون عينيها أحمر وجَت عينيها فى عينى وبدون كلام سمعتها بتقول.. إنت جبان... إنت جبان، وحولت راسها لعم منصور وشتمته قالت «إنت قليل الأدب»، قالت سناء :

ـ لازم فى حياتك تصاب بجروح.. لكن مش معنى كده..

قاطعها هادى وهو يكرر بهذيانه، وقد تداخلت محتويات المكتب فى رؤيته :

ـ فى لحظة ممكن أتغير.. أتغير..

ثم ارتخت وقفته وسقط على الأرض، وتحسست سناء جبهته فوجدتها ملتهبة جداً.

بدايـــة

(١)

انقطع هادى عن المدرسة..

كما لم تدخل نور المدرسة.. منصور الفرّاش شاهدها تجلس مستندة على سور المدرسة الخلفى من الخارج، كانت تمضغ سندوتش الفول بتمهل، وعندما ناداها قذفته بحجر وأخذت تجرى، وفى مرة أخرى تجاوزت المدرسة إلى المدينة وتجولت فى شوارعها حتى تاهت وأرجعوها إلى المدرسة بسيارة الشرطة، بعد أن وجدها رجل مسن تائهة ولا تتكلم فسلمها لمركز الشرطة... وهناك عرفوا مدرستها من الكتب التى تحملها.

أما هادى فقد كان محموماً فى منزل خاله لأيام عديدة يتبول على الفراش ويتكلم بتهتهة شديدة.

(2)

جلست سناء أمام مكتبه صامتة

قال مُرَحِّبًا :

- أهلا وسهلا أبله سناء

نظرت سناء إلى اللافتة الموضوعة على المكتب.. مكتوب عليها اسمه وبخط رقعة «وكيل الوزارة» .

قال إنه فى الفترة السابقة كان مشغولاً جداً ولم يستطع تلبية الدعوة للندوة التى أقامتها المدرسة .

قالت بإهمال:

- مش مهم

قال:

- أصله .. زى ما انت عارفه اجتمعت لجنة اختيار التغذيه للمدارس الداخليه وكنت مشغول معهم جدًا .

آرادت سناء أن تقول شيئًا ولكنه قاطعها ضاحكًا :

- أخدنا ست ساعات نوفق بين مفتش الصحة والمشرف المالى... قالوا لابد أن تطهى التغذية المدرسية المقدمة التلاميذ بزيت الخروع... واعترض المشرف المالى لأن زيت الخروع يفوق ثمن الزيت العادى مرتين، ولكن مفتش الصحة اعترض لأنه أكد - بالأبحاث المنشورة - أن زيت الخروع يكبح - ولا مؤاخذة - الرغبة الجنسية .

ثم ضحك فاهتز كرشه على المقعد وقال:

- انت عارفة يا أبله سنا ، التلاميذ فى سن حرجة ..

وصمت لحظة يلتقط أنفاسه وقال:

ـ المهم الموضوع اللى عاوزك فيه هو المدرسة ..

قالت سناء:

ـ خير ..

قال:

ـ صدر حكم محكمة نهائى بإخلاء المدرسة من السنة اللى جايه.

قالت سناء بدهشة:

ـ هترجع لأصحابها..؟

قال:

ـ لا طبعا دى تأممت، هو مجرد تحويل نشاطها لأى مجال غير مدرسه فكرية.

* * *

في ستين داهيه..

قالت سناء بعد أن خرجت من مكتب وكيل الوزارة :

«فى ستين ألف داهيه»

ـ فى ستين ألف داهيه انت وتغذيتك المدرسية والمدرسة والمدرسين والدنيا كلها.. طظ.. ألف طظ..

وصفعت كفًا بكف، وقالت وهى تبتسم بسخرية :

«زيت خروع» .. «زيت خروع»

ـ مالى ومال زيت الخروع يا ابن الكلب، تتحرق أنت ولجانك وكرشك الوسخ، الله يلعن أبوك

سارت بغير تمييز إلى أن اكتشفت أنها تسير فى شارع خطأ .. فتراجعت .. قالت :

ـ هو إيه اللى حصل...؟

(3)

قال لسناء: «اعطنى الملف»

وقال أيضاً:

ـ «اليوم تروح المدرسه بعربية شرطه وبكره تروح البيت بمصيبه»

وقال أيضاً:

ـ «ضرب وضربتها .. ولا نافع ضرب ولا نافعه شتيمه»

هل رحلت نور عن المدرسة للأبد..؟

وأين المدرسة..؟

المدرسة نفسها رحلت للأبد..

وهادى .. هل رجع إلى حالته الأولى..؟

ولكن إلى أين سيذهبون به هذه المرة..؟

(4)

كان هادى متوسداً فراشه ومتدثراً بأغطيته السميكة، وقد انغمس جسمه كله تحت الأغطية، وعلى العمود النحاسى للسرير القديم علقوا محاليل الجلوكوز، وبجوار السرير وضعوا المنضدة..عليها علب الأدوية ودورق ماء وطبق الموز، كان يحملق فى

السقف حينما أخبرته زوجة خاله أن هناك من جاء لزيارته وبنفس ثبات عينيه التى توحى بأنه فى الخمسين من عمره وبنفس الهدوء الذى يحتويهما حوّل وجهه ناحية باب الغرفة ينتظر القادمين بعينيه... وفجأة لمعت العينين وابتهج الوجه قليلاً وسحب جسمه من تحت الأغطية يحاول النهوض عندما فوجئ بسناء ونور يدخلان من الباب.

قالت سناء عندما وجدته سينهض :

ـ لا يا هادى.. استريح

وكانت نور هادئة عاقدة كفيها مع بعضهما البعض أمامها، تتقدم نحو الفراش بخطوات خجولة إلى أن اقتربت من هادى، وانحنت تقبل جبهته، وقربت لها زوجة خاله المقعد فجلست بجوار السرير وقالت:

ـ سلامتك

قال هادى:

ـ الله يسلمك

وصمتا..

قالت زوجة خاله إنها ستصنع شيئًا يشربونه وهى تبتسم فى وجه سناء، التى كانت مشغولة بمتابعة نور وملامح وجه هادى.. سألت نفسها «لماذا فعلت ذلك..؟»

«لماذا توسلت لوالد نور أن يتركها تأتى معى لزيارة هادى..؟»

«ولماذا أنا هنا أصلاً..؟»

قالت نور وهى تتلمس فتح نافذة الحوار وكسر الخجل الذى تملك منها :

ـ تصدق يا هادى كل حاجه زى الأول!!

قال هادى بصوته الواهن المتقطع :

ـ ولا حد لعب فى حاجه... معقول ؟

قالت نور:

ـ لأ.. ولا حد

قال هادى:

ـ والحبل ؟

قالت نور:

ـ والحبل مربوط فى الشجره زى الأول

قال هادى:

ـ والملايه؟

قالت نور:

ـ رميتها فى الشارع .. جبت واحدة أكبر.. علشان الحبل عمل علامة حمرا فى وركى... شوف .. شوف وآخرجت نور من جيب بنطلونها قطعة قماش كبيرة مطوية فوق بعضها حتى صارت كتلة صغيرة .

قال هادى:

ـ والنخلة ؟

قالت نور وهى تبتسم :

ـ والنخلة كمان زى الأول

قال هادى:

ـ والبلح ؟

قالت نور:

ـ البلح.. شوف ..أهوه

وأخرجت من جيب قميصها بضع بلحات، ومسحتها فى طرف القميص حتى لمعت، وأعطتهم لهادى .

قال هادى وهو يأخذ البلح منها ويضع واحدة فى فمه :

ـ والطبق (قالها بلهجة ممدودة) ؟

قالت نور وهى تقطب جبينها فى استفسار

ـ أى طبق ؟

قال هادى وهو يشير بكفيه صانعاً دائرة فى الهواء

ـ الطبق.. الطبق بتاعنا... الكيس ؟

قالت نور:

ـ آآه .. أهو كل يوم أغسله على حبل الغسيل فى البيت، وكانت قد أخرجت من جيب بنطلونها كيس بلاستيك أبيض ورفعته بيديها حتى يشاهده هادى .

ابتسمت سناء وهى تتعجب كيف تحمل نور كل هذه الأشياء داخل ملابسها؟

كان الأقرب من لهجة هادى أن يذكر نور لا أن يستفسر منها فخرجت الحروف ممدودة قال:

ـ والعفاريت .. لسه قاعده جنب الحبل ؟

قالت نور:

ـ عفاريت إيه... مفيش عفاريت

. قال هادى وهو يشير إلى صدره :

ـ أنا جبان يا نور..؟

قالت نور:

ـ لا .. انت مش جبان .. انت بنص لسان بس

وضحكت .. فضحك هادى .. وابتسمت سناء

وأخذ الضحك يعلو بشدة... وأمسكت نور بطنها بيد وأشارت لهادى أن يصمت باليد الأخرى، وأخذ هادى يسعل ودمعت عينهما من شدة الضحك.

بينما لم تتمالك سناء نفسها، فانخرطت فى البكاء وهى تحاول كتم آهة عالية كانت ستنطلق.

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوبا على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن ترفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً فى سلسلة
الإصدارات الخاصة

50- حزب الأمة ..... د. أحمد زكريا الشلق

51- الإرهـــاب ومحاربته فى العالم المعاصر ..... د. إسماعيل عبد الفتاح

52- مجـرد ذكـريـات ..... د. رفعـت السـعيـد

53- مطالعات فى السياسة والثقافة ..... د. السيد أمين شلبى

54- المعارف لابن قتيبة ..... تحقيق وتقديم / د. ثروت عكاشه

55- التاريخ تعليمه وتعلمه ..... د. حسنى أبو زيد

56- مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢ ... د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

57- رحلة عبد الوهاب المسيرى الفكرية قراءة فى فكره وسيرته ط٢ .....

د. عمرو شريف

58- رسالة فى بـركـة رمضـــان الجمعيّة ..... عبد الحميد حواس

59- مـرآة الإســـلام ..... طـه حسـين

60- المجتمع المصرى بيـن الثابت والمتغيـــر ..... د. عبد المنعم الجميعى

61- الخديو والإمبراطورة افتتاح قناة السويس «نوفمبر ١٨٦٩» ... محمد يوسف أحمد

62- بعـض مـا يـمـكن قـولـه.. أوراق ليست شخصـية ..... محمود الوردانى

63- شـخـصـيـات وتـجـارب فى المسرح العربى ..... رجـــاء النقـاش

64- الحركة العمالية فى مصر ..... د. رؤوف عباس

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موراڤيتلى سابقاً)

مواقيت التعرى

لم يكن تصميم المدرسة يتناسب مع كونها مدرسة، كانت - فى زمن مضى - قصرًا، ولا يشك الذى يمر أمامها أنها قصر، لولا اللافتة السوداء المعلقة على بابها الحديدى الجديد.

أهالى المدينة والقرية معًا لا يطلقون عليها مدرسة، بل القصر، أو السرايا، والعجائز منهم يحددون (قصر الرفاعى بك) أو (سرايا الرفاعى بك) والجيل الجديد منهم يطلقون عليها سرايا الهيل أو باستهزاء السرايا الصفرا، ولم تكن صفراء بل رمادية تميل إلى البنى الكالح، أو لعل هذا مأبقى عليه الزمن ولم يمسه التجديد الذى طالها لتكون مدرسة.

إصدارات خاصة

شركة الأمل للطباعة والنشر

الغلاف للفنان أحمد الخاباني
الوحدة للفنان سعيد فؤاد

الثمن: جنيهان